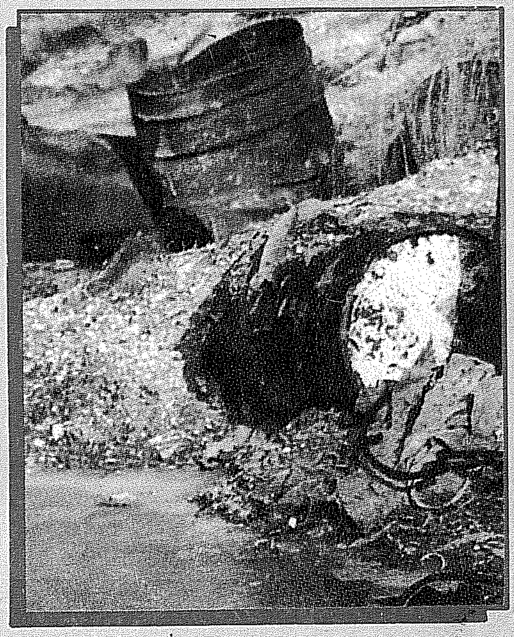
الوعي الإسلامي

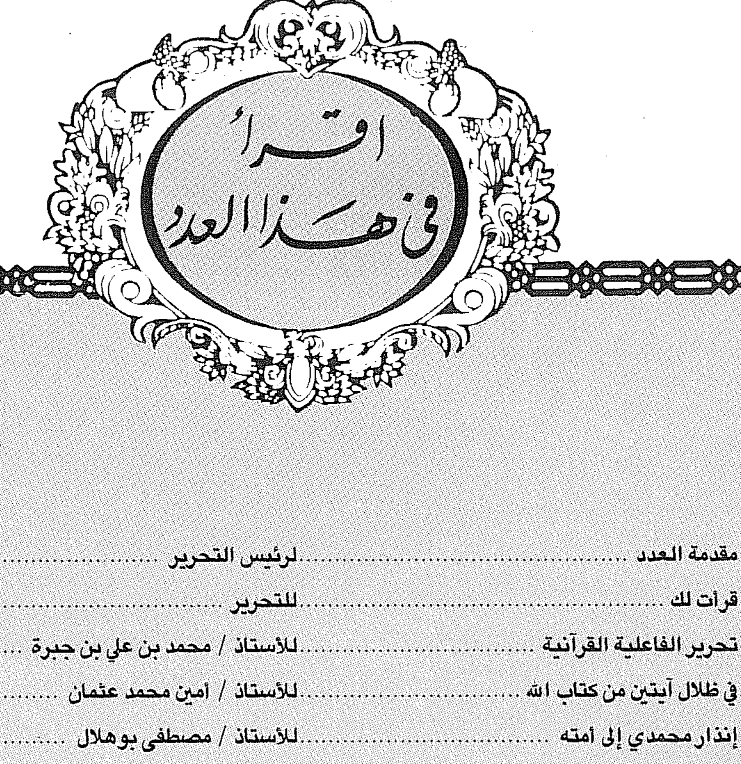
إسلامية ثقافية شهرية

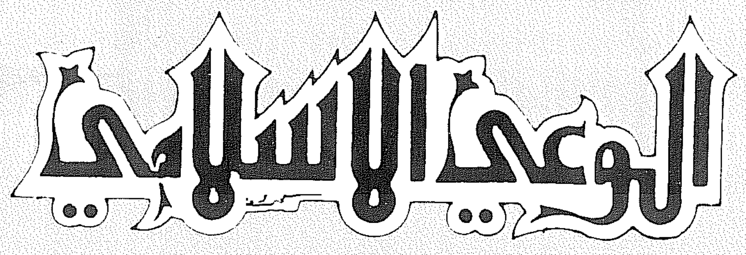
..د ٣١٢ - ذو الحجة ١٤١٠هـ - يوليو ١٩٩٠م

الغزو العفن

ص ٦٨




اقرأ
في هذا العدد



AL - WAIE AL - ISLAMI

العدد ٣١٢ ـ ذو الحجة ١٤١٠ هـ ـ يوليو ١٩٩٠م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي
ص . ب: (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠
فاكسميلي ٢٤٤٩٩٤٣

● الثمن ●

الكويت	٢٥٠ فلسا	تونس	٥٠٠ مليم
مصر	٥٠ قرشاً	الأردن	٥٠٠ فلس
السودان	جنيه واحد	اليمن	٥ ريالات
السعودية	٤ ريالات	قطر	٤ ريالات
الامارات	٤ دراهم	سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
البحرين	٣٠٠ فلس	المغرب	٥ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٤٠٠ فلس كويتي



المنافقون من الأخسرين أعمالاً!

نفاق العمل:

افتتاحية العدد السابق بينت كثيراً من جوانب نفاق الكفر، وفي هذه الافتتاحية بيان لنوع آخر يسمى نفاق العمل، وهذا اللون من النفاق لا يسلم منه مجتمع، وهو يتكاثر وينتشر كلما خف وزن الإيمان من النفوس، وكان هذا النوع من النفاق شبه محاصر يوم كان الاسلام ملء الأسماع والقلوب، لأن المسلمين كانوا ملتزمين بأدب الاسلام، ولأن الاسلام بطبيعته يرفض الخداع ويحذر منه ويتولى بتربيته ظاهر المسلم وباطنه ليظل صادقاً مع نفسه ومع الناس وهو يراقب الله في سره وعلانيته،



قنوات النفاق:

ولما ابتعد المسلمون عن دينهم أو أبعدوا عنه كثر النفاق عبر قنوات التملق والرياء، أما التملق: فإنه يريق ماء الوجه وصولاً إلى هدف نفعي أو خوفا من قوي أو طمعاً في دنيا يصيبها، هذا التملق لا يبالي بالقيم الأخلاقية الفاضلة غير حاسب لله حساباً وغير واضع في اعتباره غضب الله أو رضاه! هذا المتملق ظاهره يخالف باطنه وقوله لا يطابق عمله، ورحم الله الامام الغزالي إذ يقول في كتابه «الأحياء»: «اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتودد إليهم والمراءاة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد...» هذا الصنف من الناس لا يثق به أحد، ويعيش في المجتمع بعيداً عن التقدير وأصابع الاتهام تشير إليه أنه وصولي وإنه من خوف الذل في ذل ومن خوف الفقر في فقر، هذه ولا شك أخلاق غريبة في مجتمع الايمان وكيف لا.

وكم من قصائد طفحت قوافيها بالتملق الذليل والمدح الكاذب، وكم من مقالات وخطب قطع بها المادح عنق صاحبه وهو يرفع قدره فوق قمة الكمال البشري، وهو يصور الجو كأنه سائل يتلقى العطاء من كفه! إلى غير ذلك من مبالغات نهى الإسلام نهياً صريحاً عنها لما لها من آثار سيئة تضر بالفرد والأمة، وفي الهدي النبوي ما يرشد إلى أدب المدح. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدح

فقال: «أهلكتم الرجل. أو قطعتم ظهر الرجل» متفق عليه ـ وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل فقال صلى الله عليه وسلم: «قطعت عنق صاحبك ـ يقوله مرارا ـ إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسبه الله ولا يزكي على الله أحداً» متفق عليه.

ومما يؤسف له أن تتشيع آيات النفاق في أمة دينها لا يرضاها بل يحرمها. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه، ومما يدمي القلوب أن يكون التملق بضاعة قوم يصلون ويصومون ثم يتوافدون على موائد غني، ويتزاحمون على باب قوي، فإن افتقر هذا أو ضعف ذاك ولوا الأدبار وأعرضوا في استكبار، وهم يذمون اليوم من مدحوه بالأمس، لا يسلم من شماتتهم بعد أن أكرمهم وأعد كثيراً منهم للنوائب والنوازل. وفي ذلك يقول القائل

وإخوان حسبتهم دروعاً
فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات
فكانوها ولكن في فؤادي

أما الرياء: وهو نوع آخر من أنواع النفاق. فهو مرض يصيب المرائي فيحرمه حلاوة العيش مع الله ومن حساسية الضمير وشفافية الشعور، المراءون ولا شك قوم

مرضى القلوب، ومعلوم أن القلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفيء نورها ويسلبها تقواها، ومن هذه العلل داء الرياء له خطورته في المجتمع، والمراءون من أجل منافعهم الشخصية يلفظهم المجتمع ويبغضهم الله والناس، وهم يعيشون بشخصية انتهازية، تحكمهم الأثرة والأنانية، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، هؤلاء توعدهم الحق سبحانه بقوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) آل عمران/١٨٨ وهم في عبادتهم يراءون الناس ولا يبتغون بها ثواب الله ومغفرته فهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وهم لا يعطون الزكاة إلا وهم كارهون قال تعالى: (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) التوبة/٥٤. ومن خرج من المرائين للحج كانت غايته أن يتحدث الناس بمدحه وتقواه، وهو إذا أحرم أو لبى كان ذلك بلسانه من غير إيمان نابع من قلبه، وهو في موقف الضراعة والخشية يتباكى مع الحجيج رياء وخداعا لمن يراه، قال تعالى: (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) البقرة ٩ ومما لا شك فيه أن المنافقين من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

علاج النفاق:

وأن تيار النفاق لا يجتاح القيم إلا من النفوس



الضعيفة كما لا يصده إلا التيار الاسلامي فهو القادر على تنظيم علاقة الانسان بربه وبأخيه الانسان، علاج هذا الداء نجده في القرآن والسنة، فيهما دعوة للمسلم أن يعيش عزيز النفس مرفوع الرأس عالي الهمة، فيهما تربية إيمانية تقوم على رقابة الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، بهذه التربية تصحو الضمائر ويعيش المؤمن في معية الله فلا يفعل في السر ما يستحي منه في العلن، ولا يأتي اليوم ما يخاف من حسابه غداً، بهذا التوجه الإيماني تتحرر النفوس من سلطان النفاق وتعلو فوق كل صوره وألوانه، وتغلق منافذ الإيحاء الشيطاني الذي استباح الملق والكذب والخيانة والرياء، يتحرر بذلك المؤمن ويؤثر سلامة دينه على الشهرة ويبتعد عن مزالق الشرك الخفي ويرفض الحرص الذي يحني الرءوس، والطمع الذي يذل الاعناق.

أما من تورط في النفاق ودنس سلوكه بالتملق والرياء فليعد إلى حمى الله من جديد، وليتب إليه من قريب، إن أراد عز الدنيا وسعادة الآخرة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

رئيس التحرير

حسن مناع

في مدح الرسول الأعظم

٩

وَغَزْوَةٌ سَارَ فِيهَا الْمُصْطَفَى قُدُمًا	إِلَى بُوَاطٍ بِجَمْعٍ سَاطِعِ الْقَتَمِ (١)
وَمِثْلُهَا يَمَّمَتْ ذَاتَ الْعُشَيْرَةِ فِي	جَيْشٍ لُهَامٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُلْتَطِمِ (٢)
وَسَارَ سَعْدٌ إِلَى الْخَرَّارِ يَقْدُمُهُ	سَعْدٌ وَلَمْ يَلْقَ فِي مَسْرَاهُ مِنْ بَشَمِ (٣)
وَيَمَّمَتْ سَفَوَانَ الْخَيْلُ سَابِحَةً	بِكُلِّ مُعْتَزِمٍ لِلْقَوْنِ مُلْتَزِمِ (٤)

---

(١) سار فيها في مائتين من المهاجرين يريد عيرًا لقريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيها مائة رجل منهم أمية بن خلف وذلك في الشهر الثالث عشر من قدومه . قدما أي لم يعرج ولم ينثن حتى بلغ بواطا « بضم وفتح » جبل من جبال جهينة بناحية رضوى قرب ينبع ثم رجع ولم يلق حربا (٢) ذات العشيرة « ويقال العشير » موضع بناحية ينبع وأنثها الناظم على ارادة البقعة ، خرج اليها على رأس ستة عشر شهرا في مائتين وخمسين أو مائتين من المهاجرين يريد عيرًا لقريش صدرت الى الشأم وكان فيها خمسون ألف دينار وألف بعير فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي التي تعرض لها حين رجعت من الشأم وكانت السبب في وقعة بدر . اللهام العظيم كأنه يلتهم كل شيء (٣) سار سعد أي ابن أبي وقاص في ثمانية « أو عشرين » من المهاجرين قال ابن هشام ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد بعد بعث حمزة . الخرار موضع قرب الجحفة . البشم السآمة (٤) سفوان واد من ناحية بدر وغزوتها تسمى غزوة بدر الاولى خرج اليها صلى الله عليه وسلم بعد العشيرة بليال لما أغار

وَتَابَعَ ٱلسَّيْرَ عَبْدُ ٱللهِ مُتَّجِهًا ... تِلْقَاءَ نَخْلَةَ مَصْحُوبًا بِكُلِّ كَمِي (١)

وَحُوِّلَتْ قِبْلَةُ ٱلإِسْلَامِ وَقْتَئِذٍ ... عَنْ وِجْهَةِ ٱلْقُدْسِ نَحْوَ ٱلْبَيْتِ ذِي ٱلعِظَمِ

«وَيَمَّمَ» ٱلْمُصْطَفَى بَدْرًا فَلَاحَ لَهُ ... بَدْرٌ مِنَ ٱلنَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَةَ ٱلْوَخَمِ (٢)

يَوْمٌ تَبَسَّمَ فِيهِ ٱلدِّينُ وَٱنْهَمَلَتْ ... عَلَى ٱلضَّلَالِ عُيُونُ ٱلشِّرْكِ بِالسَّجَمِ (٣)

أَبْلَى عَلِيٌّ بِهِ خَيْرَ ٱلْبَلَاءِ بِمَا ... حَبَاهُ ذُو ٱلْعَرْشِ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ هِمَمِ (٤)

وَجَالَ حَمْزَةُ بِالصَّمْصَامِ يَكْسَؤُهُمْ ... كَسْأً يُفَرِّقُ مِنْهُمْ كُلَّ مُزْدَحِمِ (٥)

كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة أي ابلها ومواشيها التي تسرح بالغداة وفاته كرز ولم يدركه (١) عبد الله هو ابن جحش الاسدي سار أميرا على ثمانية « أو اثني عشر » من المهاجرين في رجب على رأس سبعة عشر شهرا حتى نزل نخلة وهي موضع بين مكة والطائف ، يترصد عيرا لقريش فلما مرت به تحمل زبيباً وجلودا وتجارة من تجاراتهم استاقها بعد حرب ، وهي أول غنيمة في الاسلام . الكمي الشجاع (٢) بدر موضع بين مكة والمدينة وهو اليها أقرب وغزوته تسمى غزوة بدر الكبرى أعز الله بها الاسلام وفرق بها بين الحق والباطل ، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم اليها يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان من السنة الثانية « وفرغ منها في آخره » في ٣١٣ رجلا من أصحابه لملاقاة عير قريش على غير استعداد للحرب فلما استشعر به أبو سفيان أرسل الى أهل مكة فاستنهضهم فخرجوا نحو ألف مقاتل معهم مائتا فرس يقودونها وستمائة درع . الوخم الوباء والمراد به الشرك (٣) السجم الدمع (٤) أبلى علي أي أظهر بأسه (٥) الصمصام السيف الصارم الذي لا ينثني . يكسؤهم يتبعهم ويطردهم عن مواقفهم بعد الهزيمة

وَغَادَرَ الصَّحْبُ وَالأَنْصَارُ جَمْعَهُمُ ... وَلَيسَ فِيهِ كَمِيٌّ غَيْرَ مُنْهَزِمِ (١)

تَقَسَّمَتْهُمْ يَدُ الْهَيْجَاءِ عَادِلَةً ... فَالْهَامُ لِلْبِيضِ وَالأَبْدَانُ لِلرَّخَمِ (٢)

كَأَنَّمَا الْبِيضُ بِالأَيْدِي صَوَالِجَةٌ ... يَلْعَبْنَ فِي سَاحَةِ الْهَيْجَاءِ بِالقِمَمِ (٣)

لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ كَمِيٌّ غَيْرُ مُنْجَدِلٍ ... عَلَى الرَّغَامِ وَعُضْوٌ غَيْرُ مُنْحَطِمِ (٤)

فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَالْحَرْبُ مُسْعَرَةٌ ... حَتَّى غَدَا جَمْعُهُمْ نَهْبًا لِمُقْتَسِمِ (٥)

قَدْ أَمْطَرَتْهُمْ سَمَاءُ الْحَرْبِ صَائِبَةً ... بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْمُرَّانِ كَالرُّجُمِ (٦)

فَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ صَلَفٍ ... وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ شَمَمِ (٧)

جَاؤُوا وَلِلشَّرِّ وَسْمٌ فِي مَعَاطِسِهِمْ ... فَأُرْغِمُوا وَالرَّدَى فِي هَذِهِ السِّيَمِ (٨)

مَنْ عَارَضَ الْحَقَّ لَمْ تَسْلَمْ مَقَاتِلُهُ ... وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلأَخْطَارِ لَمْ يَنَمِ

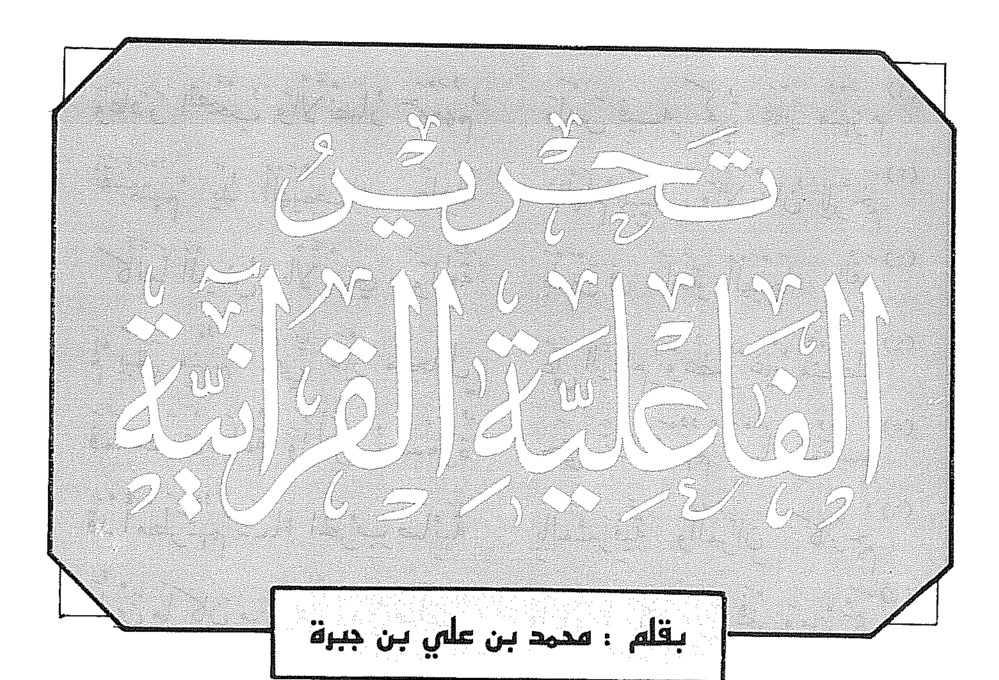
فَمَا انْقَضَى يَوْمُ بَدْرٍ بِالَّتِي عَظُمَتْ ... حَتَّى مَضَى غَازِيًا بِالْخَيْلِ فِي الشُّكُمِ (٩)

---

(١) غادر ترك (٢) الهيجاء الحرب . الهام الرؤس . الرخم طائر موصوف بأكل القذر (٣) الصوالجة عصي معوجة الطرف يضرب بها الكرة واسناد اللعب اليها مجاز . القمم الرؤس (٤) المنجدل الساقط . الرغام التراب . المنحطم المتكسر (٥) النهب الغنيمة . المقتسم الآخذ نصيبه من الغنيمة (٦) صائبة من صاب السهم الغرض لغة في أصاب اذا وصل اليه ولم يخطئه . المشرفية السيوف . المران الرماح . الرجم النجوم التي يرمى بها (٧) الصلف تمدح الرجل بما ليس فيه (٨) الوسم العلامة المعاطس الانوف. أرغموا ذلوا . الردى الهلاك. السيم العلامات (٩) مضى تقدم . الشكم جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة في فم الفرس

من كتاب كشف الغمة في مدح سيد الأمة .

المؤلفه : محمود سامي البارودي



تحرير الفاعلية القرآنية

بقلم : محمد بن علي بن جبرة

يحسن بأي ساع للتغيير في العالم الاسلامي أن يتوقف عند هذا الموضوع ، لأن سوء فهم القرآن الكريم من قبل المسلمين ، أو سوء نقله من الجانب العقيدي والفكري إلى جانب الفعل والحركة ، كان وما يزال إشكالية تقتضي الحل .

فمشكلة التقدم في الوطن العربي والاسلامي ليس العائق في طريقها القرآن كما يشيع بعض المغرضين ، فالقرآن العظيم كان ومايزال الطاقة الباعثة من أجل التقدم والتحرر بما يزرعه في المؤمنين من قيم وقواعد للسلوك وسنن الحياة . ولكن المأساة ناتجة من علاقة المسلم بالقرآن ، فهذه العلاقة مزدوجة إذ هي عقيدية اجتماعية ، فالعلاقة العقيدية قوية سليمة لا يمكن مسها باعتبارها يقينا مطلقا ، والعقل الجمعي للأمة لايشعر بأي نوع من القلق من هذه الناحية ، ولكن العلاقة الاجتماعية الفاعلة على العكس من ذلك أفسدتها الهيمنة المادية التي فرضتها الحياة المعاصرة ، فأبعدتها عن التبصر بالقرآن والاهتداء بهديه ، فينتج عن هذا أخيرا نوع من النفاق في العلاقة بين المسلم والقرآن . وهذا النفاق لا يسوغه الشرع خاصة وأن القرآن ماكان ليغلب الجانب العقدي على الفعل الاجتماعي فيحل مشكلة التكيف الايماني للمسلم . ويتركه في جانب الحياة العملية في المجتمع يواجه مصيره منفردا ، بل إن القرآن أقام التوازن بين جانبي العقيدة والفعل .

فما ذكر الإيمان إلا ومعه العمل الصالح ، وشرع قواعد تحدد أطر العمل الصالح بالنسبة للفرد تجاه الجماعة والعكس ، فأرسى بذلك أسس نظام اجتماعي تكافلي لم يعرفه غيره من الشرائع والنظريات والفلسفات التي حاولت حل المشكلة وإذا كانت المشكلة العقيدية محلولة عند المسلم ، لذلك يحسن الاتجاه إلى حيث تكمن المشكلة ، إلى حسن الاستفادة من الطاقة الإيمانية لأجل العمل والحركة المنتجة ، وبذلك يتوازن الإشباع الإيماني والفعل الاجتماعي وتلغى مسألة النفاق في العلاقة بين المسلم والقرآن . «**ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون**» (الصف ٢ ، ٣)

هل الوضع الفكري جيد ؟:

قد يتبادر إلى ذهن القاريء بعد هذه المقدمة أن الوضع الفكري جيد في الواقع العربي والإسلامي ، وأن تحرير الفاعلية القرآنية محتاج فقط إلى بعض الوسائل والأدوات الحافزة ، والحقيقة أن مسألة الانحراف الفكري هي التي انعكست سلبا في العلاقة بين القرآن والواقع الاجتماعي ، حتى أنه يمكن القول بأن إشكالية الفهم الخاطيء للقرآن العظيم وقفت بتطبيقه كنظام حياة عند حدود معينة . فالعرب والمسلمون يملكون الطاقات الوفيرة ، إن لجهة المادة الفكرية الخام ، أم لجهة الطاقة البشرية والمادية ، ولكن بفعل انحراف الفكر حُول القرآن إلى جانب طقسي عبادي لامدخل له في الشأن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

والقرآن الذي جاء بثوابت الحلول للمشكلات الإنسانية جعل منها ضوءا كاشفا يستنير به العقل المسلم في كل زمان ومكان ، ليضع الأطر الفكرية من هذه الثوابت التي تضمن للإنسان فاعليته في الحياة وللمجتمع تقدمه . ولذلك كانت القراءة الواعية المتبصرة للقرآن الكريم ضرورية لاستنباط أحكام المكان والزمان من أجل الربط المتواصل بين القرآن والإنسان في كل العصور ، ولكن عندما أسيء فهم مسألة المنهج القرآني في التقدم الحضاري وقعت الأزمة وبدأ التخبط وأخذت النظريات الدخيلة تحتل الفراغ المتروك بإرادة أهله . وبذلك حصل الانفصال الذي ولد ازدواجية شخصية بين المسلم الذي يلتصق بالقرآن أثناء ممارسة الشعائر التعبدية ، وينقلب إلى شخص آخر يخضع لتناقضات القواعد السلوكية والخلقية التي سادت الواقع . هذه الازدواجية تركت المسلم متعثر الخطى لايقوى على تحقيق التقدم ليأخذ موقعه الذي ارتضاه له رب العالمين .

لقد كان المسلم الأول يتسمع إلى الآية القرآنية كوحي موحى وخطاب مباشر ، لا كنص مكتوب ، يملي عليه سلوكه الجديد ويدفعه إلى العمل بقوة لاتقاوم . أما اليوم ومن خلال استقراء الواقع الراهن يتبين أن الآية القرآنية لم يعد لها في سلوك الفرد ماكان لها من فاعلية اجتماعية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها تستعيد فاعليتها في محيط المسجد والعبادة .

إن عجز العالم الإسلامي يكمن في تكوين الإنسان المسلم نفسه ، الذي يعاني من شلل قرآني حركي ، هذا العجز نتلمس أصوله في ازدواجية شخصية هذا الإنسان . فكيف تنبعث الشخصية القرآنية فتدب فيها الحياة من جديد ؟ وكيف السبيل إلى تحقيق نقلة المسلم المعاصر من السكون وبلادة الحس إلى الحركة والفعل الحضاري بتأثير الآية القرآنية ؟

كتاب الله والروح الفاعلة :

إن المسلمين على اختلاف أجناسهم وأعمارهم وثقافتهم ، وبرغم تمزقهم ، ينطوون على استعداد هائل للبعث والنهوض والتفاعل مع كتاب الله ، ولكنهم يحتاجون إلى الروح الباعث ، لذا فإن الاهتمام بناحية الروح في القرآن يجب أن يأخذ المكانة الأولى في قلوبنا وعقولنا حتى يعود تأثير الآية القرآنية بذات الشروط التي تجاوبت بها نفس المسلم الأول فأشرقت على مجتمع مكة الممزق فتم التآخي بين العبد بلال وأبي بكر السيد ، وأصبح لايحول بين روحيهما مع نور الله حائل .

إن القرآن كله يجب أن نتلقاه على أنه روح لنحيا به وتدب فينا من جديد كل أحاسيس الأمة الحية الفاعلة ، قال الله تعالى : «**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**» (الشورى/٥٢) إن الذين يبحثون في إعجاز القرآن اللغوي ، العلمي ، القصصي عليهم أن يتلمسوا هذه الروح قبل كل شيء ثم يطلبوا مافي الألفاظ والمعاني من قوة وجمال وإعجاز ، فالإعجاز القرآني أظهر مايكون في بث الروح الذي تحيا به الأبدان ، وينهض به شأن الهداية الإلهية في النفوس . يقول سيد قطب في ظلال القرآن : (إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري،إن له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشري،حتى ليبلغ أحيانا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لايعرفون من العربية حرفا) . إننا بحاجة أن نتلقى القرآن على أنه الروح التي من خصائصها الحياة والنمو والقوة والمناعة «**ياأيها الذين آمنوا**

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» (الأنفال/٢٤) . وعلينا أن نتلمس هذه الروح ، وأن نتجه الوجهة الخالصة لله لإيجاد الصلة بين روح القرآن وبين قلوبنا حين تسري تياراته وإشراقاته في كياننا كله **«أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»** (النساء/٨٢) . فالتأمل والتدبر والوقوف على كل عبرة ومعنى عند التلاوة يحقق العيش به في حقائقه العظيمة صباح مساء.

ويصبح كذلك من اللازم أن نزيل الفوارق والحواجز التي تفصل بين قلوبنا وكتاب الله. قال الله تعالى : **«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون»** (الحديد/ ١٦ و١٧.

فإن زالت القساوة والحجب، وصار القلب أمام القرآن وجها لوجه. أحس الإنسان بالحياة والقوة والنور والخشية والخشوع، وبالتالي الاعتقاد والالتزام والاستجابة، فلامعنى للحياة كما يذكرها القرآن إلا بالروح الفاعلة **«أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون»** (الأنعام/ ١٢٢).

الدفع القرآني التحضيري :

يعيش العالم منذ الثورة الصناعية في أوروبا حالة جري سريع باتجاه الآلية والمادية المجحفة ، وإذا بهذه السرعة المذهلة تولد تخبطا اجتماعيا لم يعد يعرف معه الإنسان ذاته ، وأغشي على بصره فتاه عن شاطىء الأمان النفسي ... فإذا بالتقدم التقني يصحبه انحدار أخلاقي يقود إنسانية الإنسان إلى هاوية مجهولة الأبعاد ... وتكاد كل الفلسفات التي حاولت حل المشكلة ضمن إطار وضعي سواء الوجودية باختلاف مدارسها ، أم العبثية أم الماركسية ، أم الرأسمالية أم غيرها ، تعلن إفلاسها عن تمكنها من تأمين الاستقرار المفقود ... وهنا يلعب القرآن دور شاطىء الأمان الوحيد للإنقاذ بما يوفر من مناعة للضمير الإنساني .. فالقرآن بالأساس رسالة الله الخاتمة إلى الناس كافة . وعلى امتداد العصور ... من هنا يمكن التقرير استنادا إلى هذا البعد العالمي للقرآن ، بأن رسالته في مركز العالم الحديث **«وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس...»** (البقرة/١٤٣) .

إن عالمية القرآن هذه تنبع أساسا من تلك الخصائص الحضارية الفاعلة

التي ينطوي عليها ، أما الانتكاسات التي حصلت في التاريخ الإسلامي فهي بسبب ذلك التراجع في ذات المسلم عن التطبيق الاجتماعي لمضامين القرآن . وفي عالم اليوم،ومع ازدياد الحاجة لروحية القرآن وطاقاته الفاعلة لنقل البشرية من الظلمات إلى النور ، لابد من إعادة المسلم في ظلال القرآن حتى يؤدي دوره المناط بعهدته في إنقاذ العالم الراهن هذا الدور للقرآن يكون بالطاقات الروحية والعلمية والمنهجية التي يمنحها للإنسان . فإذا لامست هذه الطاقات ذات الإنسان تحول من حال إلى حال وإذا تحول الفرد تحولت الأسرة وإذا تحولت الأسرة تحولت الأمة.ولقد صدق من وصف حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بقوله : « لقد كانوا قرآنا يمشي على الأرض» .

إن الإسلام الذي تتجدد قيمه روحا قرآنية تحكم كل حركة في المجتمع هو الكفيل بأن يعيد الدفع التحضيري إلى المؤمنين به ، فيؤمنهم ضد الانحراف العقائدي ، والاستلاب الثقافي .

إن قوة الدفع التحضيري الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في القرآن ... ولكن أي قرآن ؟ القرآن المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة فعل اجتماعي حضاري ... وقوة الدفع هذه جديرة بأن تصوغ من جديد حضارتنا الإسلامية المستقبلية .

إن مسؤولية النهوض الحضاري في العالم الإسلامي هي مسؤولية الإنسان وهذا مبرر استخلافه في الأرض،فإما أن يحسن الفهم والتطبيق فتكون العاقبة فوزا وترشيدا للتقدم الحضاري وإما أن يسيء الفهم ، أو يتهاون في منطق الفعل والتطبيق فيكون الارتكاس الحضاري والخسران المبين .

ففي العالم الإسلامي اليوم ، طاقات وخامات بشرية ومادية ضخمة ، تؤهلهم للقيام بالدور العالمي المطلوب . ولكن باستثمار هذه الطاقات وفق هدي القرآن ، وبشكل منظم علمي يحولها إلى طاقات فاعلة ويزيل عنها صفة العطالة والكسل ...

انتدب الله تعالى المسلم لهذا الدور الحضاري ، لكن الفجوة حصلت عندما قصر العقل المسلم في فهم المنهج القرآني واستيعاب الروح القرآنية وهذا ما أحدث الانفصام في الشخصية بين ماتعلن من انتماء وما تمارس من عمل فتعثرت الخطى في مواقع عديدة ، وهذا أمر طبيعي ففي عقل تنكب للمنهج القرآني الإنساني لن يوجد الحافز للدفع الحضاري . نستنتج من ذلك أن أسلوب الدفع التحضيري القرآني يكون باقتران حقيقتين **الأولى**:هي استيعاب الروح

القرآنية والالتزام بالفكر القرآني ، **أما الثانية** فهي تحول تلك الروح وذلك الفكر إلى منهج حياتي يكيف الطاقات في سبيل امتلاك الريادة الحضارية ، وهذا لايحصل إلا بتطوير مناهج التربية والتفسير .

تطوير مناهج التربية والتفسير :

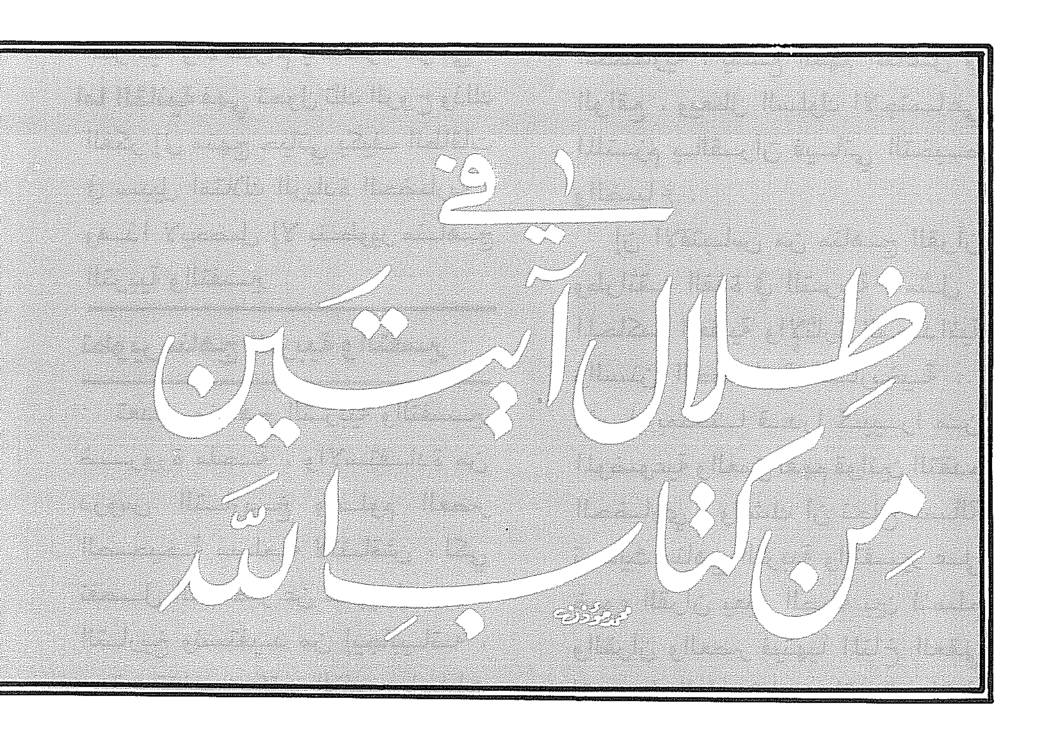
تعديل مناهج التربية والتفسير ضرورة ملحة ، والاستفادة من دروس التاريخ وعلوم العصر الصحيحة مسلمة لاتناقش ، لكي نفصل الحاضر عن سلبيات هذا التاريخ ونستفيد من إيجابياته ، وحتى تتضمن كتب التفسير إجابات عن الكثير من التساؤلات العصرية لأن ترك المسائل معلقة دون تحليلها قرآنيا يدفع طالب الفهم والتفسير إلى البحث عن مبتغاه في مصادر أخرى .

ومازال الكثير من أهل العلم والبحث لايرون في دراسة القرآن الكريم غير ناحيتي الألفاظ والمعاني ، فقضوا بذلك على الجوانب الأساسية للتقدم الحضاري في القرآن الكريم ، وبذلك فقدوا بهذا المنهج كل نسمة تغييرية واقتصر عملهم على إعداد طلاب علوم لغوية وفلسفية لاجنود عقيدة وحضارة متقدمة .

إن تقديم وفهم المنهج القرآني يجعل الدارس يتجه نحو الفعل الإيجابي ، غير أن عدم تعديل التفسير على ضوء التاريخ والسنن الحضارية ، يمنع الفهم الفاعل في الواقع ، ويعطل السلوك الاجتماعي الملتزم بالقرآن فيأتي التخبط والضياع .

إن الاقتباس من مناهج القرآن وطرائقه الفذة في التربية . مثل : المحاكمة العقلية والإثارة الوجدانية والسنن الحضارية التاريخية ... كفيل بمنحنا قدرا كبيرا من الموضوعية والعمق لفهم قوانين التقدم الحضاري . ولاشك أن نجاح مسألة تحديث مناهج التربية والتفسير على ضوء القرآن يعيد الصلة بين المسلم والقرآن والعصر فيتهيأ المناخ العقلي لتحصيل العلم وتطوير واقع الحياة في ظل الهدي القرآني .

إن القرآن العظيم يشكل الموجه والضابط لحركة التحضير في العالم العربي والإسلامي والمحدد لتطلعات المستقبل ... ولكن البدء في عملية التقدم الحضاري على هذه الأسس لايجوز أن يكون على منابر المساجد والمنتديات وفي الأماكن المغلقة فحسب وإنما يجب أن يكون مادة التربية والتعليم والتثقيف والتوجيه بمختلف الوسائل المتاحة والمنهج العملي في كل حركة ونشاط ... فهل لنا أن نأمل أن تحرر الفاعلية القرآنية في حياتنا الفردية والجماعية فتكون الخطوة الأولى في طريق البناء الحضاري الجديد بناء حضارة الإيمان والحق والعدل .

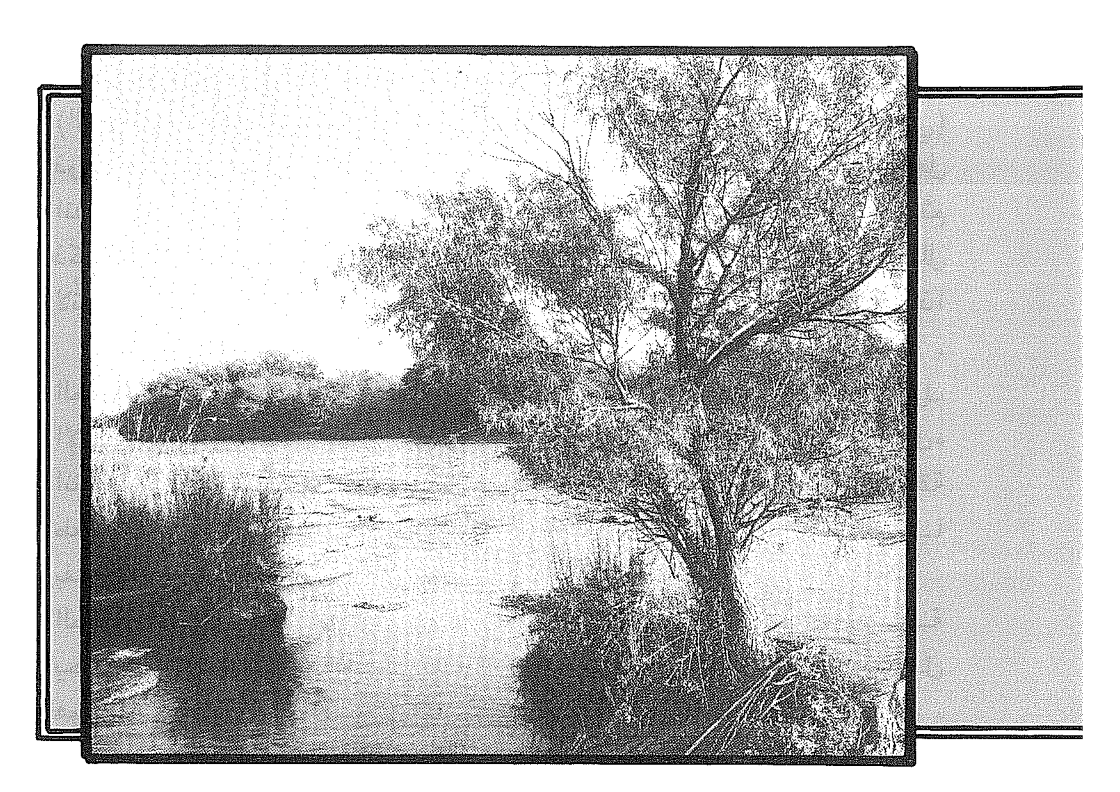


للأستاذ/ أمين محمد عثمان

القرآن الكريم لاتنتهي معجزاته ، ولاتنقضي آياته ، فهو صالح لكل زمان ومكان ، وهو نبع فيّاض ، تنهل منه كل أمة بحسب طاقتها ، ونور يستضيء به كل انسان بحسب عقليته وتفكيره ، وطاقته لاتفنى ، وكلماته لاتنفد ، وينابيعه لاتغيض

وهو يصلح لأمة أمية تعيش على الفطرة ، كأمة العرب إبّان مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام ... كما يصلح لأمة متحضرة ، تركب الفضاء ، وتعتلي قمة الجوزاء ، وتفجّر الذرة ، وتصل بعلمها إلى سطح القمر وصدق الله العظيم إذ يقول : **«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ..»** فصلت/ ٥٣ .

هزت مشاعري آيتان من آيات الذكر الحكيم ، لما اشتملتا عليه من المعاني البليغة التي يخرّ لها العلماء سجدا لله وهم داخرون ، وكلتاهما تتحدث عن البعث يوم القيامة ، وأنه



حقيقة واقعة ، وأنه سبحانه قادر عليه :
(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم/ ٢٧ .

● الشجر الأخضر ●

ذكر كثير من المفسرين وعلى رأسهم (الحافظ ابن كثير) أن (أُبَيّ بن خلف) كان من عتاة المشركين ، دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفي يده عظم رميم وهو يفُتّه ويذروه في الهواء ثم قال متهكما : يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم يميتك ويبعثك ثم يحشرك إلى النار ، ونزل قوله تعالى :

«أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يُحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون» يس/ ٧٧ ـ ٨٠ .

إن المعاني البليغة التي تنطوي عليها هذه الآيات الكريمات لتبلغ حدا من الإعجاز يقف أمامه العقل البشري حائرا مبهورا ..

إن هناك سرا هائلا يكمن في هذه الكلمات القصار ، كما تكمن الطاقة الهائلة ، في ذرة من ذرات

(اليورانيوم) عند انشطارها ، أو في ذرات (الإيدروجين) الخفيفة عند اندماجها ...

ذكر الدكتور (صروف) في كتابه (آفاق لاتُحد) :

إن ضياء الشمس هو أغنى الموارد الطبيعية وأزخرها بالطاقة ، ومازال الإنسان ينتفع بطاقة الشمس منذ أن انتصب على قدميه إنسانا ، فهو يأكل طعاما صنعته له النباتات الخُضر ، بفعل ضياء الشمس سواء أكان هذا الطعام نباتا أم لحم حيوان ، وهو يحرق الخشب ليطبخ أو ليصطلي فإذا هو يطلق بما يفعل طاقة الشمس التي اختزنت بفعل كيمائي في الشجرة النامية ، وجميع الحضارات القديمة انتفعت انتفاعا مباشرا بطاقة الشمس في الشجر لانتاج الطعام أو للتدفئة .

ونحن في العصر الحديث ننتفع بالشمس انتفاعا مباشرا أو غير مباشر ، فالحطب الذي كان يحرق لتوليد الحرارة كان يكفي حضارة في طور الزراعة ، ولكنه عاجز عن كفاية حاجة الحضارة الصناعية ... وقد كان الفحم هو الوقود الأول في الحضارة الصناعية في عهدها الأول ، ثم أضيف إليه النفط ، والغاز الطبيعي في أواخر القرن الماضي ، وازداد الاعتماد عليها ازديادا مطردا فيما مضى من هذا القرن ..

وهذه الأنواع الثلاثة من الوقود (الفحم والنفط ، والغاز الطبيعي) صنعت أولا في النبات الأخضر ، بفعل الشمس منذ ملايين السنين ، ثم دفنت في أطباق الثرى ، نتيجة أفعال (جيولوجية) ومر عليها الزمان فإذا هي ما هي ، وهذه الأنواع الثلاثة ، من الوقود ، تدير آلاتنا ، وتحرك سياراتنا وطائراتنا ، وسفننا ، وتدفىء بيوتنا ، وتولد قدرا كبيرا من الطاقة الكهربائية التي تطرد حاجاتنا إليها ..

إن الوقود إذن بأنواعه المختلفة كامن في ذلك الشجر الأخضر بفعل الطاقة المختزنة من أشعة الشمس ، ومن هنا تدرك سر الإعجاز في قوله ـ سبحانه ـ **(الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون)** .

وإن البحث هنا ليدفعنا إلى الكلام عن السر الكامن في قوله تعالى **(الشجر الأخضر)** ولماذا (الأخضر) بالذات ؟

إن الطعام يصنع أصلا في معمل (الورق الأخضر) وماكان على غراره من لحاء الشجر ، وبعض النباتات البحرية ... إن ذلك الورق الأخضر دون غيره من (معامل الطبيعة والإنسان) يستطيع أن يلتقط طاقة الشمس باسلوب هين ويستعملها في بناء المواد الغذائية الأساسية ، ثم يأخذها الإنسان والحيوان ، و(النبات الأخضر) هو أعظم أداة وأدقها

لتحويل طاقة الشمس إلى أشياء تنفع الناس ، وطريقة النبات في هذا التحويل يطلق عليها وصف (التركيب الضوئي) ... أما سر هذه الطريقة التي يستخدمها النبات ، فلم يكشف للعلماء تماما حتى الآن وإن كشف بعض غوامضه ، منذ عهد قريب ... فلقد قال العالم الأمريكي (جيمس بولتون) «إنه سيمكن خلال السنوات القادمة استغلال عملية (التمثيل الضوئي) في النبات في انتاج الطاقة الكهربائية ، وفي صناعة الغذاء ، وذلك بعد كشف جميع أسرارها وذكر الدكتور (بولتون) أنه هو وزميله الدكتور (وارد) قد تمكنا من التوصل إلى معرفة الخطوة الأولى في سر (التمثيل الضوئي) أو (الكلوروفيل) التي تحدث داخل الورقة الخضراء ، وهي العملية التي يمتص بها النبات (ثاني أكسيد الكربون) من الجو ويحوله في داخله إلى مواد نشوية وغيرها ، ثم يخرج (الأوكسوجين) ..

وأنه إذا ماتم اكتشاف سر هذه العملية بالكامل فسوف تحدث ثورة علمية خطيرة بحيث يمكن محاكاة النبات صناعيا ، واستخراج (البروتينات) والنشويات النباتية في المصنع مما يضاعف من إنتاج الغذاء النباتي في العالم وذلك إلى جانب انتاج طاقة كهربائية رخيصة ..

إن التوصل إلى هذا السر والانتفاع بما يكشفه انتفاعا اقتصاديا مجديا هما في طليعة مشكلات الحضارة الحديثة ، فعلى السياسة التي خصصت للحروب مئات الملايين من الجنيهات أن تخصص للباحثين في هذا الموضوع مايكفيهم من المال للبحث فإذا وُفقوا إلى حل المشكلة كان ذلك خطوة كبرى نحو تحقيق إحدى الحريات الأربع التي يريدها الناس أركانا للعالم المرتجى وهي (التحرر من العوز والفاقة) .

القمر أو المجاعة

لقد قال الدكتور (رايموند) العالم الاقتصادي الأمريكي :

(إن العالم سيواجه مجاعة عنيفة في موعد أقصاه نهاية هذا القرن ، وأنها ستكون أضخم كارثة في التاريخ لأن زيادة السكان لا يقابلها زيادة في فائض الأغذية ثم قال (رايموند) إن المؤرخين في المستقبل قد يتساءلون : هل كان من الأهم ، إرسال إنسان إلى القمر في الستينات من هذا القرن أم العمل على تحاشي المجاعة في نهاية هذا القرن ؟

ويرى العلماء أن هذه المشكلة تعالج من ناحيتين :

أما الأولى فدراسة أسرار النمو في النباتات وهذا يتيح للعمال والزراع متعاونين زرع نبات يفوق مئات

الأضعاف النبات الذي يزرع الآن في جميع أنحاء الأرض فيحول جانبا كبيرا منه إلى مصادر تستخرج منها الطاقة بأساليب جديدة ...

وأما الثانية فالبحث الكيمائي في التفاعلات التي تمكن العلماء من محاكاة (الورق الأخضر) أو مجاراته في تركيب (الكربون) المنتزع من (ثاني أكسيد الكربون) والإيدروجين من الماء ثم إضافة الأوكسوجين إلى هذه المركبات للحصول على السكر والشحم والخشب ، ثم إضافة (النيتروجين) للحصول على البروتين ، ومن هذه المركبات الأساسية تصنع مركبات أخرى كثيرة تعتبر جزئياتها مخازن للطاقة ..

وصدق الله سبحانه :

«والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم» الحجر/ ١٩ ـ ٢١ .

تسوية البنان

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى في مفتتح سورة القيامة :

(لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة . أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه) القيامة/ ١ ـ ٤ .

والبنان في لغة العرب ، يطلق على أطراف الأصابع قال الشاعر :

تضوّع مسكا (بطن نعمان) إن مشت
به زينب في نسوةٍ خَفِراتِ
يخبئن أطراف البنان من التقى
ويرجعن بالتنعيم معتمرات

ولعل القارىء يتساءل كثيرا ... لماذا اختص الله أطراف الأصابع بالذكر ؟ دون غيرها من أعضاء الجسم كالعين والأذن ، ولفائف المخ ، ونجيب فنقول :

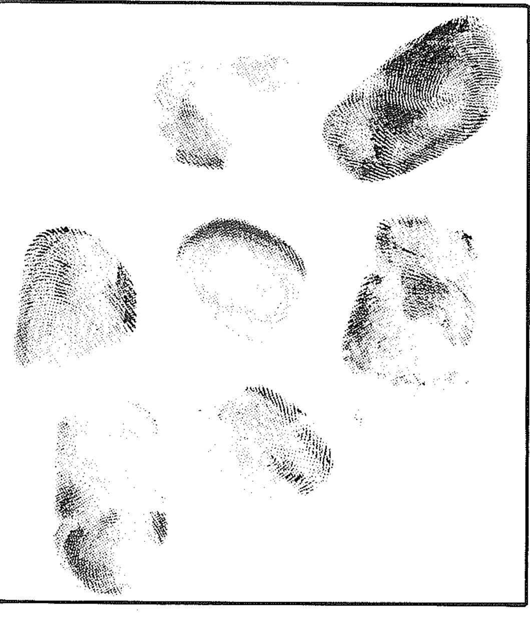
لقد اكتشف أن في تسوية البنان سرا عجيبا ، ذلك أن بصمات الأصابع في شخص ، لا يمكن أن تتشابه أبدا ، مع بصمات الأصابع في شخص آخر . يعرف ذلك الخبراء في تحقيق الشخصية ... حتى انهم ليستطيعون تحديد الجريمة ، وضبط الفاعل إذا هم استطاعوا أن يضعوا أيديهم على بصمات الأصابع التي خلفها الجاني وراءه ...

وقد يعمد بعض المجرمين إلى نزع الجلد من أطراف أصابعهم ، تشويها للخطوط الجلدية ، ولكن سرعان ما ينبت الجلد من جديد مشابها في تخطيطه للبصمات الأولى ...

شهادة عالم كبير

وفي هـذه الحقيقـة السـافـرة ، والمعجزة الباهرة ... يقول المختـرع الكبير (أديسون) ردا عـلى من سأله عن وجود الله :

«خذ بصمة إبهـامك ـ كمـا يفعل الخبراء في تحقيق الشخصية عند أخذ بصمات المشبوهـين ـ ثم أزل خطوط إبهامك بحـرقها بـالنار ، فمتى نمـا الجلد ثانية ، تجد أن خطوطه لم تتغيّر مطلقا ، كما كانت قبل احتراقـه ... لقد اختبرت ذلك بنفسي حتى تحققت أن هـذا سر من الأسرار ، مـا فتىء مغلقا حتى الآن ... فإذا قلت إن هذا من عمل (الطبيعة) فإن هذا الجواب ، إنما هو تهرب منك ، لأنك تذكر كلمة فـارغة مكـان الجواب ... إن كلمـة الطبيعــة ماأقنعتني قط ، ثم يقـول (اديسون) : أما جوابي أنا فهـو أن الجلد لم ينبت ثانية كمـا كان أولا ، بمجـرد الصدفـة والاتفاق ، بـل إن هنـاك من وضـع رسـوم النمـوذج الثـاني ، وعنى بمـطابقتـه لرسـوم النموذج الأول من كل وجه ... وأنت لا تعلم شيئا عن هذه الرسوم ، وإذن فإن دماغك لم يشترك في العمل ... إن هناك قدرة عجيبة هي (قدرة الله) هي التي تقوم بالعمل ، وأنا أعتقـد تمام الاعتقاد أنها تحرك نسيج جلد الإبهام



بمزيد من العناية ، مستعينة على رسم التفاصيل بعلمها الواسع المحيط» .

ولعمري إن تلك شهادة يعتـز بها العـالم الإسـلامي ... من مختـرع مـادي ، في عصر سـرت فيـه حمى التعصب ، ودبت فيه عقارب الإلحاد

البصمات الساحرة

إن الخبراء في تحقيق الشخصية يحـرصـون دائمـا عـلى اكتشـاف البصمة ، لأنها هي الدليل الوحيد على معرفة الجاني ، وهناك من بين المواد الكيمـائيـة التي يصنعهـا المعمـل الجنـائي ، مـادة تستـطيـع إظهـار البصمات فوق المستندات القديمة ، ولو كـان قـد مضى عليهـا خمسـة وعشرون عاما ... فلو ثار جدال حول

شخص قيل إنه عبث بمستند من المستندات ، فإن المادة الكيمائية الحديثة تستطيع أن تقدم الدليل المادي على صحة هذا الادعاء أو كذبه ، وما على الباحث إلا أن يرش المستندات بمحلول كيمائي ، ثم يدخل المستند في الجهاز الذي تبلغ درجة حرارته (٤٥) درجة وفي الحال تظهر البصمة القديمة بلون بنفسجي ، ثم يترك (٢٤) ساعة حتى تظهر البصمة بوضوح ، وقد صمم المعمل الجنائي جهازا جديدا يلتقط بصمات أصبع المجرم من فوق أي شيء ولو كان ليّنا ، ففي بعض القضايا عُثر على بصمات للمتهمين فوق قوالب من (الزبد) أو فوق طلاء حديث ، أو مادة دهنية ، والجهاز الجديد يلتقط صورة البصمة كاملة .

* الصحة والصناعة في البصمة *

وعن طريق البصمات ، أمكن استخدام العلم الحديث في تحديد ما مضى من عمر الانسان ، وصناعته وحالته الصحية ..

هل هو مريض بمرض معين أم هو إنسان يتمتع بصحة جيدة وذلك من واقع بصمته التي يتركها في مكان الجريمة .

لقد ثبت علميا أن الخطوط التي توجد في أنامل الإنسان تكون كثيرة متعددة عندما يكون الإنسان طفلا ... وتقل عندما يتقدم في السن ..

أما معرفة صناعة المتهم من بصمته فقد دلت التجارب على أن مهنة الإنسان تؤثر في أصابعه ، (فالترزية) وصانعو الأحذية يستخدمون الإبرة في صناعاتهم ، والإبرة تترك أثرا يعرفه الخبراء في خطوط البصمات .

والمصورون ، وعمال الطلاء يمكن معرفتهم من تأثير الأحماض على بصماتهم أما المشتغلون بالكتابة كالموظفين والمحامين والمدرسين والصحفيين وغيرهم فإن القلم يترك أثرا في أناملهم يشبه النتوء ، أو ما نسميه نحن (بالكاللو) .

ويستطيع الباحث على ضوء هذه الملاحظات ، أن يعرف كذلك الحالة الصحية للمتهم ، وقد أمكن بعد دراسة علمية وطبّية معرفة بعض الأمراض (كالتيفود) لأنه يؤثر على فتحات خروج العرق من اليد ويوسعها ، ويستطيع خبير البصمات إدراك هذا كله وملاحظته بعدسات التصوير التي يصنعها المعمل الجنائي لتصوير البصمات .

* التوائم المتشابهة *

معروف أن الإنسان ينشأ من اندماج (حيوان منوي) واحد في (بويضة) واحدة ، وبعد هذا الاندماج تبدأ الخلية في الانقسام إلى خليتين فأربع فثمان ... وهكذا تنقسم إلى

ملايين الملايين من الخلايا ، تتكون منها أعضاء الجسم المختلفة ، فهناك أحشاء مختلفة وهناك عظام ذات مفاصل ، وهناك رأس ومخ وكبد وقلب وأذن وعين ...

وهذه الأعضاء جميعها قد قيست بمقاييس لو اختلفت قليلا لم تكن الحياة ، ولو لم يراع في الرجلين (مثلا) مفاصل الركبتين ، ولا في الأصابع مفاصلها ، ولا في الأيدي مرافقها لم يتم نظام الحياة ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي يقول :

«**يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم . الذي خلقك فسوّاك فعدلك . في أي صورة ماشاء ركبك**» الانفطار (٦ ـ ٨) .

وأعجب من ذلك أن كل خلية من هذه الخلايا تحمل خصائص الجنس ، وطبائع النوع ، وأساليب الوراثة ، وخلق الإدراك ، والحواس الظاهرة والباطنة وإلى هذا تشير الآية الكريمة .

«**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين.ثم خلقنا النطفة علقة.فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**» المؤمنون (١٢ ـ ١٤) .

لكن قد يحدث أحيانا ، أن (البويضة) عندما تنقسم إلى قسمين ، أن ينفصل القسمان ثم يبدأ كل قسم في النمو مفردا ، فينشأ في هذه الحالة مخلوقان هما (التوأم) وفي التوائم يكون التشابه كبيرا جدا من حيث المظهر الخارجي وقد يتشابهان خلقا وسلوكا وتفكيرا وذكاء ، وقد يصعب التمييز بينهما أحيانا والسبب في ذلك أنهما منشقان من بويضة واحدة ، وقد تغذيا من مشيمة واحدة وقد يشملهما غشاء واحد .

وقد يحدث أن تفرز المرأة بويضتين ويتم تلقيح كل بويضة بحيوان منوي فيكون هناك جنينان مستقل كل منهما عن صاحبه ، ويكون التشابه هنا أقل من الحالة السابقة . ... والسبب في ذلك أنهما منشقان من بويضة واحدة ، وقد تغذيا من مشيمة واحدة وقديشملهما غشاء واحد .

وقد وُجد أن التوائم المتشابهة رغم هذا تختلف في (بصمات الأصابع) .

ومن هنا تظهر الحقيقة السافرة ، وتخرج المعجزة الباهرة ، وهي أن الله (سبحانه ـ إذا كان قادرا على تسوية البنان ، مع ما في تسويته من الدقة المتناهية فهو على إعادة غيره من أعضاء الجسم أقدر ...

فياعجبا كيف يعصي الإله
أو كيف يجحده الجاحد ؟
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

مع الحديث النبوي



للأستاذ/ مصطفى بو هلال

١ ـ محور البحث :

حديث نبوي معجز، من أحكم أحاديث الاعجاز العلمي في السنة الشريفة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَتَتْبَعُنّ (كما بالبخاري) وبمسلم (لَتَتّبِعُنَّ) سنن من كان قبلكم (وبمسلم: سنن الذين من قبلكم): شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍ (وبمسلم: في جحر ضب) تبعتموهم (وبمسلم : لا تبعتموهم)! قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال: فمن؟).

٢ ـ مداخل :

هذا كلام فصل، من جوامع الكلم النبوية، لما فيه من بلاغة وتمثيل موقظين، وكمال وصف: جحر ضب، شبرا، ذراعا. ولما فيه من إيجاز لفظ مع اتساع مدلول كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ولما فيه ثالثا من إعجاز علمي.. والإعجاز العلمي في القرآن والسنة مادة ثرية لمبحث علمي مبتكر هذا العصر، وعقد له مؤتمر دولي أول عام ١٩٨٧م.

رواية مسلم فيها تقوية: لتَتّبِعنّ: لاتّبعتموهم. وسيتضح بعد هذا الإقواء عند الشرح.

احتفلت كتب السنة بتخريجه واستلفت أنظار العلماء الشرّاح لشرحه والاحتفاء ببسط درره لتنبيه

الغافلين.

ب ـ إتمام تخريج الحديث :

أخرجه في المسند: الإمام أحمد بن حنبل في مواطن عديدة بلفظ: (إنها لسنن لتركبُنّ سُنن من كان قبلكم سنة سنة...).

كما أخرجه الترمذي بذكر سبب له، ثم قال: وقال أبو واقد الليثي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (.. لتركبن سنة من كان قبلكم) وقال الترمذي: وروي مثل ذلك عن الخدري وابي هريرة.

أما الحاكم في المستدرك ـ وعنه البزار ـ فقد أثبت عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه).

وأخرجه أيضا الطيالسي ح١٣٤٦ و٢١٧٨، ومثله ابن ماجة في الفتن .

جـ ـ تنزيل الحديث منزلته الحديثية:

نقده الترمذي فقال: حسن صحيح، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بـ: صحيح، وأقره الحاكم قائلا على شرط مسلم ووافقه الذهبي على ذلك.

وعلى هذا التقييم حاز الحديث أعلى مراتب الثبوت والقبول، لاتصال سنده وعدالة راويه وتمام ضبطه.

٢ ـ شرح الحديث :

أ ـ لتَتْبْعُنَّ : أو لَتَتَّبِعن: اشتقتا من تبع واتبع. ولها ـ بمقامنا ـ من المعاني أربعة وجوه:

ـ الاتباع: الاقتداء والامتثال. وأصل الاتباع السير وراء آخر حسيا ومعنويا. ومن هنا شاع مصطلح (التبعية) بين الناس، إن اقتصادية أو ثقافية أو سياسية أو تربوية.

ـ الاختيار: قال الله تعالى (**وَيَتَّبِعْ غير سبيل المؤمنين**). النساء/ ١١٥. أي يختر غير منهج ودين الإسلام، وقال جل من قائل: (**فيتبعون ما تشابه منه**) سورة آل عمران/٧. بمعنى يختارون.

ـ العمل: قال الله تبارك وتعالى: (**واتبعوا ما تتلو الشياطين**) البقرة/ ١٠٢. أي عمل اليهود بما تتلو الشياطين .

ـ الاحتذاء خطوة خطوة. ويتجلى هذا مع (اتبع) خاصة، أي حذا حذوه، وهذا يتمشى مع السياق (شبرا بشبر، وذراعا بذراع).

فإذن: لَتَتَّبِعُنَّ: لسوف تعملون مقتدين ممتثلين مختارين، ولتحذون حذوهم: خطاكم من خطاهم وأنماط سلوككم من مسلكهم.

في رواية الترمذي والحاكم وابن ماجة كذلك قول الرسول صلى الله عليه

وسلم: (لتـركبن) وركب على معـان: ركوب الدواب أو الاستواء على وسيلة نقل، أو النجاة، أو التحول، أو العناد كما يقال (فلان ركب رأسه)! وبمقامنا وجه واحد هـو الأصلح لشرح هـاته اللفظة الحديثية، ألا وهو: التحول من حال إلى آخر. يقول المولى جل جلاله: **(لتركبن طبقا عن طبق)** الانشقاق/ ١٩. والمعنى لتتحولن حالا بعد حال، لتلابسن حالة إثـر حالة، لتنتقلن من وضع الى ثان.

والآن ما المستفاد من: (لتتبعن - لتـركبن)؟ أي شيء يضفيـه الجمـع بينهمـا عـلى البعـد الدلالي للحـديث المدروس؟

بكل انشراح نلقى المفـردتين - في الروايتين - قد زادتا المعنى تنويـرا، والوصف دقة، والمراد جلاء، والإيحاء تأثيرا، والإعلام توكيـدا، والتحذيـر تنبيها وإفاقة...!

وما جاء ذلك إلا لأن اقتداء أهوج أعشى بسلوكات غريبة يبدل الموقف من حـالة هي (النقاوة أو الاستقـامة أو الأصـالة أو الانتماء) إلى حـالة هي (التشـوه أو المسـخ أو الارتـداد أو الانبتات).

ب - سنن من كان قبلكم، أو الذين من قبلكم:

سنن : الطرق، المناهج، السبـل.. وثنايا (الآخرين) متشعبة ومتضاربة، منهـا النـيِّر ومعـظمهـا الأظلم، فهي متـاهات مـديدة: شعبهـا عقائـدية، وأخـلاقيـة، ومعـرفيـة وسيـاسيـة وقانونية.. هي كذلك لمـا أنها لم تنبثق من الدين الحنيف، ولا استـنـارت بمقوماته. ويزيدها إيغالا في الغرابـة تعدد مصادرها من كل الأنحـاء وفي الأزمان السالفة والحاضرة: (من كان قبلكم).

قـد تقول: لم يـذكر المعـاصرين! أقـول: شمل الحـديث جميعهم، فهم السـابقون في ابتـداع الفجـور - إن باسم حرية التمدن أو بداعي الافراط في المـاديـة، أو بعنـوان العبثـيـة الوجـوديـة..! و نحن اللاحقـون في الاتباع، المسايرون لهم في الانتهاج! ولئن كان التأثر بالمـاضين حـاصلا، فتمكنـه بالمعـاصـرين من بـاب أولى وأحرى!

إن لهم لقـدما سـابقة سبـاقة في الفـاحشـة والتيـه، ونفض أستـار الحياء!

جـ - شبرا بشبر، وذراعا بذراع: هذا رسم بياني، وتوضيح تمثيلي للموافقة المحكمـة الحـاصلة بـين المبتـدعـة والمتبعة، والاتباع العريض المتمكن في المخالفات والخلاعة والمجون .

د - حـتى لو دخـلوا جُـحـر ضـب تبعتموهم، أو حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم: وهاته قمة التبعية والمسـايرة. فمسلمـو اليـوم لتعلقهم الشديد بأولئك ، ولاقتفـائهم آثارهم وطرائقهم: لو دخلوا في مـضيـق، لو انجحروا في مأوى، هو الضيق نفسه

كمضيق الضب لهبوا وراءهم مقلدين! مبالغة وإفراطا في الاتباع: أية هدف توجهوا وناحية انتحوا توجهنا وانتحينا.

ويقتضي البحث منا، استقصاء دلالات المشهد.. مشهد التشبيه بالضب وجحره.. فأما لماذا جحر الضب، فلشدة ضيقه.. وأما لماذا الضب دون غيره، فقد حاول بعض الشراح الاجابة عن كل ذلك، ولم أجدها شافية، ويزيد التململ اهتزازا وجود حيوانات حشرية أجحارها أضيق من جحر الضب؟

إجابتي مستنبطة من استنطاق الأمثال العربية القديمة، تلك التي تخص الضب ـ وهو ذلك الحيوان الزاحف الأصغر من الورل ـ فماذا تقول الأمثال عنه؟

١ ـ (أضل من ضب) يقال إذا خرج الضب من جحره ضاع ولا يهتدي إليه! فهل بعد هذا من ضلال؟!

٢ ـ (أحْيرُ من ضب) شاع عنه بالمشاهدة أنه إذا فارق جحره تحير وسدت أمامه سبل العودة إلى أمان مخبئه الأول.

٣ ـ (أعقد من ذنب الضب) فهو ذو عقد، أحرش قاس.

الضب ـ حينئذ ـ من المخلوقات الأشد ضلالا وحيرة وعقدا وشؤم مؤخرة، وضيق مسرب، ولذا مثل الرسول صلى الله عليه وسلم غيرنا من أمم الضلال بالضب، وهو صلى الله عليه وسلم ليس من الذين يرسلون الكلام على عواهنه، وكفى بحكمته هاته حسن مقال!

٣ ـ المقصد العام للحديث:

إن هذا البلاغ النبوي لإخبار وإنذار، ومن هنا المعجزة فقد اتبع كثير كثير من أمتنا سنن غيرهم، انساقوا في تيارهم غير مكرهين، مضوا مولعين بأضوائهم السراب، اختطف بريق تمدينهم البصيرة والبصائر، فعموا وتاهوا.. ولا تعتقدن أن الحديث عام ينسحب على جميع أفراد الأمة، فقد أفاد صلى الله عليه وسلم أن أمته لا تجتمع على الضلالة..!!

إنما المراد: النهي عن الالتفات إلى مستنقع فسوقهم وإن أحاطوه بأغراس الزهور. المراد: الإنذار المبكر من التهافت على حارق الفوانيس الجاذبة إلى برك اغتيال الشهامة والفضيلة، والقيم الثوابت، ذلك لأن نور الإسلام بهر الأضواء كلها!

وإن المتقحمين المتهافتين على الزائف من مدنية الأغراب لهم المذمومون الأحقرون ولا يغيب عن أحد، أن الاتباع لا مناص منه، على اعتبار أن الحضارة أخذ وعطاء، وعلى اعتبار أن الله تعالى خلقنا شعوبا وقبائل لنتعارف. ولا يخفى عن الناظر أن لذلك مسربين: منحى نافع، وآخر ضار.. وعليه فالانذار المحمدي موجه باتجاه الضار... أي نحو قشور

التمدين اللاأخلاقية، وبهتان الدعوات الضالة، والمذاهب الهدامة.. وهو توجيه مؤكد الى الاعتصام بالكتاب والسنة، ونبذ الافتتان. ومن هنا بانت وجاهة ترجمة البخاري لهذا الحديث بـ:«كتاب الاعتصام» والترمذي وابن ماجة بكتاب:«الفتن»، والحاكم بكتاب «الإيمان».

وكما أدركت، جاء الحديث حازما في التنبيه، من خلال الجزم بوقوع ما في الغيب، كيف؟

ـ لاحظ الألفاظ: لتتّبعن، لاتبّعتموهم. لتركبّن، لدخلتم:

أ ـ فيها رؤية مستقبلية مسترسلة غير محدودة، وكما وضع اللغويون: النون بآخر الفعل المضارع توجب التأكيد إن أفاد المستقبل .

ب ـ المفردات ـ إذن ـ مؤكدة بنون التوكيد، وبلام الابتداء التي وظيفتها وفائدتها: توكيد مضمون الجملة كله.

٤ ـ هذا الحديث والتفاعل الحضاري:

أ ـ يعترف هذا الحديث النبوي ـ ضمنيا ـ بأن لا مناص من تداخل الحضارات، وتشابك الاستفادات المدنية، واختلاط السلوك البشري على تعدد الأجناس والنحل.. على أن الذي يؤكد التحذير منه هو التهالك على الفتات المسموم.. هو الاتجاه نحو المسخ والانبتات والردة! هو المسارعة بتقمص كل ما تسرب من الغير!

وإننا حين ننظر في وضعنا، نجد المجتمع الإسلامي منذ القرن التاسع عشر ـ خاصة ـ في منزلة المغلوب على أمره، في كافة الأصعدة، ونتج أن ولع هذا المجتمع (بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده) أما عن السبب فيبين ابن خلدون ذلك قائلا: (النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء،أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله ...حتى أنه إذا كانت أمّة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات

الاستيلاء، والأمر لله).

وعليه فالاقتباس، منه ما هو مقبول، ومنه ما هو مرذول مرفوض ولذا.

ب ـ يفيقنا هذا الحديث إلى واحة السلام! وسبُلُها الاتزان بثوابت الإسلام حين اشتداد الفتن والموبقات وصواعق الرذيلة ـ وهي واقعة ـ (نعم إن رسول الإسلام قد خرق بفكره الثاقب المعزّز بالوحي غياهب الحضارات، وحرر أبعاد الفكر البشري ليستشفّ في بساطة مقنعة الحلول المثلى لمشاكل الإنسانية في مختلف الأعصار والأمصار. لقد شملت نظراته الكاشفة شتى تطورات الإنسان، فهي معالجات فكرية واقتصادية واجتماعية يندهش الفكر العلمي لمدى انطباقها على معطيات البعثة المتجددة وتحديات هذا الانبعاث).

مما سلف، ندرك أنه وإن كانت هناك سنن تُحكم التواصل بين المدنيات، فإن على المسلم ألا يكون موقفه موقف القبول المطلق، أيا كانت العلل ـ ولا موقف الرفض المطلق، إنما عليه اتخاذ موقف الاستجابة الفاعل، فهو بهذا يقدر على التعمير الراشد بهدي الله .

٥ ـ تضبيب على أبجار الضباب :

متاهات صدرت، أو حدث ويحدث استيرادها، من الغرب، تحت عناوين باطنها المغالطة والمراوغة كالعصرية والتقدمية والتمدين.. تند عن الحصر، من ذلك:

(أ) عرض الأزياء النسائية واختيار ملكات الجمال في الصالونات والفنادق والتلفاز.. وأي أزياء؟ أتظنها الأزياء الساترة؟ لا! إنها الموضة التي تبرز المفاتن وتصف العورات بل قل تعريها وتزيدها بهرجا وتبرجا!

(ب) الاعلانات التجارية الناسجة على منوال الغرب تماما، أي المركّزة على الجنس والفتنة، أي على رشاقة الأنثى الخليعة.

(ج) الرياضة النسائية ـ كالجمباز ـ حيث عُمِد ـ بكل دهاء خبيث ـ إلى ترغيب وتشجيع اليافعات على إبراز عوراتهن إبرازا مبالغا فيه، فهم يوحون لهن بأن مثل هذا هو شأن فتاة اليوم المتحضرة المثقفة!! وبأنه ليس عيبا قادحا ولا إباحية، وليس فيه ما يُطيح بجدار الحياء.. وذلك بتسخير وسائل الإعلام ومنح الميداليات بدون حساب!

(د) طرائق عدة من الاقتداء المنحرف

لاستكمال الإطاحة بالمرأة المسلمة: شطوط خليعة مختلطة ماجنة داعرة.. حوانيت فخمة لحلّاقات رجال.. وأعصر المحلات لحلاقين للنساء.. مدارس رقص فاضح ماجن.

(هـ) دور فسق ومجون مكن ويمكن لها في بعض بلاد الإسلام؟!

(و) اليانصيب وسباق الخيل على الطريقة الأوروبية أليس هذا قمارا من عمل اليهود ومنا من يجعل له عيدا توزع فيه أثمن كؤوس الفوز؟

(ز) الانتصار لقوانين وضعية معطلة لحدود الشرع الإلهي: أليس هذا تلبيس الأعداء قد استفحل في ديار المسلمين؟!

(ح) السكوت بله الرضا والترخيص القانوني ـ بقيام أحزاب أثبت الواقع فشلها في الأوطان الإسلامية لأنها غريبة عن الكيان الذي ينبغي أن يبقى متماسكا بالإسلام، هذا والتعداد للمنكرات متعب وإن القلب لحزون دامع..!

٦ ـ أمل النجاة:

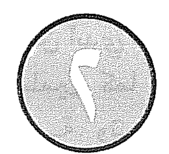
وإذا رسخ بالأذهان أن مدلول (الفتنة): اختلال وفساد الحال، فإن المسلم الطالب للنجاة هو السائل ربه تعالى ألا يجعله فتنة للكافرين.. بمعنى ألا يجعله مفتونا بفتنة الكفرة فتختل أمور دينه وذلك بفرط محبتهم، والتقرب منهم، وتقمص سيرتهم ومنازعهم حيث تحصل آنذاك الغلبة **(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)**. الممتحنة/ ٥

ولئن كان الوضع المخزي كذلك، ولئن ورد ـ من جانب آخر ـ برواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، فقيل يارسول الله: كفارس والروم؟ فقال ومَن الناس إلا أولئك؟!». رواه البخاري بشرح السندي ج ٤ ص ٢٦٤.

فكيف الخلاص؟ إلى أين المفر؟ فهل إلى خروج من سبيل؟ وفي الحديث المتفق عليه يناشدنا الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم مشفقا فينادى «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها» وفي رواية: «أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحّمون فيها».

فهلا أعنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسنا؟!

نظرة في تاريخ الاستشراق



الفكر الاستشراقي بعد الحروب الصليبية

للدكتور/ محمد الدسوقي

كانت الكنيسة في أوربا من وراء كل المواقف المضادة للإسلام منذ دخل هذا الدين تلك القارة، فقد بذلت ما استطاعت من جهد في سبيل الحيلولة بين الأوربيين والوقوف على تعاليم الإسلام وآدابه، ولكنها على ما بذلت لم تحقق ما تسعى إليه، وظل الأوربيون يقبلون على تعلم العربية، والهجرة إلى مواطن الثقافة الإسلامية، وظل للفكر الإسلامي تأثيره في عقول ومشاعر الأوربيين، فهم مازالوا يدرسونه، ويترجمون آثاره، بل تضاعف نشاطهم في هذا...

ولما بدا للكنيسة أن ما قامت به لم يكفل لها بلوغ الغاية في مقاومة المد الإسلامي فكرياً وحضارياً اتجهت نحو إثارة العامة ضد المسلمين، وشد أزرها في هذا بعض النبلاء والحكام الطامعين في كنوز الشرق وخيراته، وأتاح التمزق الذي شهده العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري وظهور بعض الدول المستقلة عن الخلافة في بغداد ـ للكنيسة فرصة تحويل تلك الإثارة إلى حملات مسلحة تعبر البحر المتوسط لمهاجمة المسلمين في الشرق تحت ستار حماية الصليب،

وانقاذ القبر المقدس من أيدي البرابرة المتوحشين، أي المسلمين، كما كانت تعبر عنهم الكنيسة. وتعددت الحملات التي عرفت باسم الحملات الصليبية، لأن الصلبان وزعت على الحاضرين في مجمع كلرمونت سنة: ١٠٩٥م، حيث ألقى البابا أوريان الثاني موعظته التي حث فيها العالم المسيحي على الحرب، لتخليص القبر المقدس من المسلمين، ووعدهم بأن تكون رحلتهم إلى الشرق بمثابة غفران كامل لذنوبهم، كما وعدهم بهدنة عامة تحمي بيوتهم في أثناء غيبتهم. وكانت هذه الموعظة الشرارة التي أشعلت نار الحملات الصليبية التي استطاعت أن تحتل منطقة الشام، وتدخل القدس،

وترتكب من الجرائم البشعة ما لا يصدقه عقل، إذ قتل نحو سبعين ألفاً من المسلمين في المسجد الأقصى ما بين رجل وامرأة وطفل حتى خاضت الخيول في دماء الشهداء. ومكث الصليبيون في أرض الاسلام نحو مائتي عام، وتمكن صلاح الدين بعد أن وحد بين بعض البلاد العربية من أن يهزم هؤلاء البغاة في موقعة حطين سنة: ٥٨٣هـ ،وكانت هذه الهزيمة بداية نهايتهم وطردهم من ديار الإسلام.. وعلى الرغم من أن الصليبيين عرفوا المسلمين عن كثب، ونقلوا كثيراً من مؤلفاتهم العلمية، وانتفعوا بها في بلادهم على الرغم من كل هذا لم تتغير صورة الإسلام والمسلمين لدى أوربا، وظلت مشاعر التعصب متأججة في نفوس أهلها، وزادت الهزيمة في حطين من مواقف العداء، وأيقن الأوربيون أن الإسلام هو مصدر الخطر على مطامعهم في الشرق، ومع هذا تعد نهاية الحملات الصليبية بداية مرحلة جديدة للفكر الاستشراقي امتدت إلى نحو منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وقد تميزت هذه المرحلة بما يلي:

أولا : أدرك الغرب من خلال حروبه الصليبية أن الشرق يتفوق عليه فكرياً وحضارياً واقتصادياً، وأنه يجب على الغربيين أن يسيروا في نفس الطريق الذي سارت فيه شعوب الشرق، لكي ينهضوا ويتقدموا.

ثانياً : تضاعف الاهتمام باللغة العربية، وإنشاء الكراسي العلمية الخاصة بها، كما تضاعف الاهتمام بإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات لدراسة الحضارة الإسلامية، وكانت المؤلفات العربية في مجال العلوم الهندسية والفلكية والطبية والفلسفية تدرس في هذه الجامعات التي أنشئت تقليداً مطلقاً للجامعات الإسلامية في الأندلس وصقلية، وظلت تلك المؤلفات مادة البحث والدراسة الجامعية لنحو ستة قرون (انظر محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب للدكتور فؤاد سزكين ص٧٧).

ثالثاً: قويت حركة نقل التراث العربي إلى أوربا، وتسابق أهلها في الحصول على أكبر قدر منه، واشترك في هذا الحكام والمستشرقون وبعض الرحالة والمغامرين الذين كانوا يلجأون إلى السرقة والخداع والتضليل.

وما كان كل هؤلاء فيما يسعون إليه ينتقون من هذا التراث، وإنما كانوا يجمعون منه ما تصل إليه أيديهم، ثم يقومون بتصنيفه بعد نقله إلى بلادهم. ولعل تفرق أجزاء الكتاب الواحد في أكثر من مكتبة في العالم، أو فقد بعض هذه الأجزاء يرجع إلى ذلك.

لقد ذكر «فيليب دي طرازي (ت:١٩٥٦م) في الجزء الثاني من موسوعته «خزائن الكتب العربية في الخافقين.. أن في بعض مكتبات لبنان مخطوطة من كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان على هامشها حاشية بقلم قنصل فرنسا في بيروت في منتصف القرن السابع عشر خلاصتها أنه في سنة ١٦٧١م أرسل عالي الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات، وزود مبعوثيه بأوامر شريفة إلى جميع القناصل الفرنسية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه الغاية.

وقام المستشرق الإنجليزي إدوارد يوكوك (ت:١٦٩١م) الذي عاش خمس سنوات في مدينة حلب السورية كمبشر برحلة إلى الآستانة: ١٦٣٧، وجمع مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية، وهي التي تكون الآن قسماً من أثمن المخطوطات في المكتبة البودلية في اكسفورد (وانظر الدراسات العربية الإسلامية في أوربا للدكتور ميشال جحا ص٣٢)

كذلك قام المستشرق الهولندي يعقوب جوليوس (ت:١٦٦٧م) برحلتين إلى المغرب الأقصى وسورية اشترى فيهما كثيراً من المخطوطات العربية، ونقلها إلى مدينة ليدن، ونشر بعضها بين سنوات:١٦٢٣ ـ ١٦٥٦.

لقد نقل الأوربيون آلاف المخطوطات من العالم الإسلامي، وسلكوا في سبيل ذلك طرقاً متباينة، منها السرقة والتودد إلى بعض القائمين على المكتبات بالهدايا والتظاهر باعتناق الإسلام، وإبداء الرغبة في الاطلاع على ما خطته أقلام العلماء المسلمين..

وكانوا بعد نقل تلك المخطوطات إلى أوربا يصنفونها ويفهرسونها، وساعد الاستشراق في هذا بعض علماء الشرق الذين استقدموا لهذه المهمة، كما قاموا بترجمة الكثير مما نقلوه، وبخاصة ما يتصل منه بالعلوم الرياضية والطبية إلى اللاتينية، ثم إلى اللغات الأوربية، وطبع بعضه بالعربية بعد اختراع الطباعة.

والذي لا مراء فيه أن التراث الإسلامي الذي نقل إلى أوربا قد

أسهم بدور فعال في انبثاق عصر النهضة، وإخراج أوربا من ظلمات العصور الوسطى، ولكن الأوربيين كانوا يتجاهلون فضل المسلمين عليهم، وكانوا في مؤلفاتهم التي أخذت عن الكتب العربية أو ما ترجم منها يزعمون أنهم لم يعتمدوا على مصادر عربية (وانظر محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب ص٨١ و٨٤). وكشفت الدراسات العلمية المعاصرة عن انتحال الأوربيين لمؤلفات وآراء مفكري الإسلام في تلك المرحلة من مراحل الاستشراق، فقد أثبتت مثلاً أن هارفي (ت:١٦٥٧م) الذي ادعى أنه أول من اكتشف الدورة الدموية قد ترجم ترجمة حرفية من اللاتينية التي نقل إليها ما قاله ابن النفيس (ت:٦٨٧هـ = ١٢٨٨م) في هذا الموضوع، فهذا العالم المسلم الذي يسبق هارفي بنحو أربعة قرون هو أول من اكتشف هذه الدورة في تاريخ الطب، وليس ذلك الدعي الذي انتحل ما ليس له.

رابعاً : وإذا كانت الكنيسة في المرحلة الأولى للاستشراق قد جندت بعض الرهبان لدراسة الإسلام، بقصد تنفير الأوربيين منه، وإذا كانت أيضا قد أنشأت بعض المدارس لتخريج من يتصدى لتأثير الاسلام النفسي على الأوربيين فإنها في المرحلة الثانية قررت مواجهة هذا الدين على نطاق واسع، ولا سيما بعد أن فتح الأتراك مناطق البلقان، وحاصروا فينا إنها بعد أن نجحت في العمل على انحسار المد الإسلامي في شبه جزيرة أسبانيا لم تنس هزيمتها المنكرة في حطين، وأزعجها المد الجديد للاسلام في شرق أوربا، وأخذت تخطط لمقاومة الاسلام لا بين الأوربيين فحسب، وإنما بين المسلمين أنفسهم فأكثرت من إنشاء المدارس والمعاهد التي تدرس العربية والعقيدة الإسلامية، لإعداد مبشرين يعملون على تنصير المسلمين، أو تشكيكهم فيما هم به يؤمنون، ومن ثم عرفت هذه المرحلة الاستشراقية التبشير بالمسيحية بين المسلمين، وكان يرحل من أجل ذلك إلى البلاد الإسلامية بعض المستشرقين لجمع المخطوطات من جهة، وللتبشير من جهة أخرى، وأصبحت شخصية المستشرق تجمع بين الباحث والمبشر، ومن هؤلاء من أقام في بلادنا عدة أعوام لتلك المهمة..

ويعد بطرس الكلوني (ت:١١٥٦م) أول راهب متحمس لحرب المسلمين عن طريق السلاح والفكر، وكان في رسائله للملوك الصليبيين يدعو إلى تنصير المسلمين، فذلك أنفع للمسيحية من قتلهم، ولهذا كان يعتقد أن المهمة الأولى للحروب الصليبية هي تنصير المسلمين، ولكنها تحولت إلى عمل سياسي وعسكري، ففقدت بذلك القيام

برسالتها، وأرجع بطرس فشل هذه الحروب في القيام بما كان يجب عليها أن تقوم به إلى جهل المسيحيين بحقيقة الدين الإسلامي، ولذا أوجب على نفسه، وحض سواه على دراسة الإسلام ومحاجة المسلمين، واقناعهم بالتخلي عن الإسلام واعتناق المسيحية. وكان مما قام به بطرس للتبشير بالمسيحية بين المسلمين تكليف مجموعة من المترجمين لترجمة بعض الكتب، للتعرف على الإسلام ودراسة تعاليمه، ولكن هذه الكتب التي ترجمت ألفها يهود متنصرون، أو نصارى مستعربون، ومن ثم كانت أبعد ما تكون عن الإسلام الحقيقي، بل هي إلى الأساطير أقرب منها إلى الدراسة العلمية..

ومن هذه الكتب ونحوها اطلع الغرب على الإسلام، وترسب في وجدان الأوربيين أن هذا الدين محض افتراء، وأن الذين يؤمنون به ويجاهدون في سبيله قوم مضللون، وأن على الكنيسة أن تتصدى لهذا الدين لا بسيف الحرب، وإنما بسيف التبشير بالإنجيل والتنصير. ومع ما بذله أمثال بطرس الكلوني وغيره من الحانقين والحاقدين من جهد في سبيل التبشير بالمسيحية لم يحقق التبشير مهمته، ولم ينجح في أن يدخل في المسيحية مسلماً واحداً، بيد أن هذا النشاط التبشيري ـ وإن أخفق في مهمته ـ قد ترتب عليه التوسع في دراسة الدين الإسلامي، ولغة القرآن، وترجمة الكثير من المؤلفات الاسلامية إلى اللاتينية، ثم إلى بعض اللغات الأوربية، وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية.

خامساً: ترجم القرآن الكريم في هذه المرحلة إلى أكثر من لغة أوربية، وكانت أول ترجمة للقرآن قد أنجزت في دير كلوني تحت اشراف بطرس الذي سبقت الإشارة إليه فقد جند هذا الراهب المتعصب بعض من يجيدون اللغة العربية من القساوسة وغيرهم لترجمة القرآن، وبعض الكتب التي أومأت إليها آنفاً، ليتخذ من ذلك سلاحاً للهجوم على الإسلام، والاستهانة به حتى يستطيع أن يبشر بالمسيحية بين المسلمين.

وكانت هذه الترجمة هي الأولى للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، ولم تكن ترجمة بالمعنى العلمي، فقد سيطرت على من قام بها روح العداء والسخرية والحقد والكراهية، ومن ثم جاءت هذه الترجمة مجافية لمقصود القرآن الكريم ، ومشحونة بالأباطيل والأكاذيب ، ويكفي دلالة على هذا أن من قام بها وصف عمله بأنه تعرية لمبادىء الإسلام للضوء ، بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم ، وينتشر لمدة تجاوزت خمسة قرون ، وأنه بذلك قشع

الدخان الذي أطلقه محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم يخاطب قارئه قائلاً : لعلك تطفئه بنفخاتك ! (وانظر مجلة المسلم المعاصر العدد ٤٨ ص ٦٢) .

ما الذي يتوقع من مترجم لكتاب ينظر إليه هذه النظرة السوداء؟.
لامراء في أنه سيتعامل معه من منطلق التصرف في أصله، والتحريف في مضمونه والتشويه لحقائقه، والإضافة الفاسدة إليه «**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**» (الصف/٨).

وظلت هذه الترجمة مخطوطة نحو أربعة قرون ثم طبعت في مدينة بازل وظهرت في يناير سنة١٥٤٣م، وكانت هذه الطبعة هي البداية لسيل من الترجمات باللغات الأوربية أخذت في الظهور منذ ذلك التاريخ حتى بلغت اللغات التي ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة إحدى وعشرين لغة أوربية، ولكن كل هذه الترجمات كانت محرفة مشوهة لا تعرف الأمانة العلمية، فقد كان كل من يترجم الكتاب العزيز من الأوربيين يشفع ترجمته بمقدمات وتذييلات وبعض الحواشي في دحض هذا الكتاب، وذلك من قبيل الإعلان عن حسن إيمانه وصحة عقيدته، حتى يمكن أن تنشر ترجمته وترضى الكنيسة عنه.

وفي القرن السادس عشر تجرأ بعض الأوربيين فنشر طبعة للقرآن الكريم في نصها العربي، وقد انزعج البابا في روما كل الانزعاج من هذا وأمر بجمع النسخ المطبوعة كلها وحرقها، وأقام لذلك احتفالاً دينياً شهده شخصياً، ليظهر للعالم المسيحي استنكاره البابوي..

ولم يكن انزعاج البابا من طبع القرآن الكريم في نصه العربي إلا خوفاً من اطلاع المسيحيين على ما جاء به هذا الكتاب العزيز من تعاليم وآداب تفضح المواقف الحاقدة، والأباطيل التي كان يرددها المستشرقون ـ تحت رعاية الكنيسة ـ عن الاسلام ونبيه.

سادساً : اتسعت دائرة الاستشراق، وأقبلت كل دول أوربا على الدراسات الشرقية، وأنشئت في بعض الجامعات كراسي للتخصص في هذه الدراسات وكان هذا التسابق في دراسة الشرق وتراثه الإسلامي بوجه خاص يسعى نحو غاية واحدة، وهي التمهيد للانقضاض على الشرق مرة أخرى وقد بدأت بريطانيا في تحقيق هذه الغاية بإنشاء بعض الشركات التي كانت نواة الاحتلال الانجليزي للهند.

سابعاً : ومع كثرة نقل التراث الإسلامي المخطوط إلى أوربا ودراسته وترجمة بعضه، وطبع قدر منه بالعربية، ومع احتكاك العالم الأوربي بالمسلمين في الأندلس وجزر البحر

المتوسط وفي فترة الاستيطان الصليبي بالشام - مع هذا كله لم تتغير صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الأوربيين، وذلك لأن تعامل هؤلاء مع التراث الإسلامي والمسلمين بوجه عام لم يتجه نحو البحث عن الصورة الصحيحة للإسلام، وإنما اتجهت نحو الانتفاع بما حققه المسلمون في مجال العلوم الطبيعية وما إليها من ابتكارات، إنهم لم يهتموا بالوقوف على مفاهيم الإسلام الصحيحة، بل إنهم كانوا يقفون من هذه المفاهيم موقف المتعصب لما يؤمن به والذي يرى في عقائد الآخرين - دون فهمها أو دراستها - ضلالاً مبيناً، لأن جهد الكنيسة في تشويه الإسلام، بالاضافة إلى الأساطير الشعبية التي نسجت خيوطها الأوهام والأحقاد حالت دون النظر إلى الإسلام والمسلمين بمنهج علمي موضوعي، وجعلت الأوربيين لا يرون في الإسلام إلا ديناً فاسداً، وفي المسلمين إلا أمة همجية كافرة لا تحسن غير التدمير والتخريب، ولذلك كان كل ما كتب عن الإسلام والمسلمين يمثل الجهل المطبق بالاسلام، كما يمثل السطحية والكراهية لهذا الدين،

والخوف من قوته وسطوته، ومن هنا امتلأت كل المؤلفات الأوربية في المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق بالسخافات والجهالات والضلالات (انظر صور استشراقية للدكتور/ عبد الجليل شلبي ص٢٦) والتقت كلها على أن نقطة البداية في حرب الإسلام وتنفير المسيحيين والمسلمين منه على السواء هي القرآن الكريم، وكان هذا مرد الاقبال على ترجمته ترجمة محرفة مشوهة ينكرها الأصل العربي كل الإنكار، لتكون ذريعة لاصدار الآراء المضللة عنه..

ثامناً :وإذا كان ذلك السلوك المعادي للإسلام موجهاً للأوربيين والمسلمين وبخاصة الذين كانوا في بعض بلدان أوربا كأهل الأندلس وصقلية فإن الحقيقة التاريخية أن الحرب الفكرية ضد الإسلام بدأت أولاً في الشرق فقد أخذ المسيحيون في البلاد التي فتحها المسلمون كسوريا والعراق يثيرون قضايا جدلية ونقدية يريدون من ورائها الطعن في تعاليم الإسلام، وأنها ليست جديرة بالاتباع، وقد ساعدهم على نشر ما يريدون أمران:

- الأول : تظاهر بعضهم بالاسلام.
- الثاني : ما تمتعوا به في ظل الحكم الإسلامي من الحرية العلمية.

ويرجع كل ماعرفته حلقات الدرس ، ومجالس العلم في الحواضر الإسلامية من مجادلات عقيمة حول كثير من القضايا الكلامية وغيرها إلى ماقام به هؤلاء من إثارة الشبهات حول العقيدة الإسلامية ، والآيات المتشابهات ، ومنزلة السنة من

القرآن .... إلخ .

وكان يوحنا الدمشقي الذي عاش في كنف البلاط الأموي متمتعاً بالأمن والحرية أول من بدأ تلك الحرب الفكرية ضد الإسلام، وكان أول من أثار قضايا تبناها الفكر الاستشراقي بعد ذلك، فهو الذي ابتدع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعين براهب مسيحي آبق في نقل ديانته عن العهدين القديم والجديد، وأن الوحي القرآني كان يصاغ وفقاً لرغبات الرسول الجنسية، ويشير بهذا إلى زواج الرسول بزينب بنت جحش.

وقد تلقف مثل هذه الآراء الباطلة المسيحيون من أهل الأندلس وأضافوا إليها ما نشرته الكنيسة من افتراءات وخزعبلات، ثم ترجموها إلى اللاتينية وكانت منطلق الهجوم الآثم ضد الإسلام.

ولم يقف علماء المسلمين أمام ما يذيعه هؤلاء الأفاكون من أباطيل موقفاً سلبياً، وإنما جادلوهم مجادلة علمية، وبينوا لهم زيف ما يقولون ويعتقدون، وكشفوا لهم عن الحقائق الناصعة التي لا يسع العاقل إلا التصديق بها والدفاع عنها، ومن هذا ما كتبه أبو الوليد الباجي (ت:٤٧٤هـ) في الرد على أكاذيب أحد الرهبان الفرنسيين، ومن قبل الباجي كتب الإمام ابن حزم (ت:٤٥٦هـ) كتابه «الفصل في الملل والنحل »وتناول فيه الأناجيل والعقائد المسيحية بمنهج عقلي منطقي لا مجال فيه للتجني أو الانفعال العاطفي، ولذلك حرمت الكنيسة التراث العلمي لهذا الإمام، لكي تظل الخرافات والمتناقضات حول المسيح عليه السلام راسخة في أذهان ومشاعر المسيحيين فلا تزعزعها أمثال هذه الدراسات العلمية والموضوعية: (انظر الوعي الاسلامي العدد ٢٠٨ص٦٤)

وفي نحو منتصف القرن السادس الهجري نشر راهب اسباني رسالة حمل فيها على الدين الإسلامي، ودعا المسلمين إلى الإيمان بالمسيح، وأفاض هذا الراهب في تمجيد عيسى عليه السلام، وبيان منزلته، وقد تصدى للرد على تلك الرسالة التبشيرية أحمد ابن عبد الصمد الخزرجي (ت:٥٨٢هـ) في كتابه «مقامع الصلبان» وفند المزاعم التي تضمنتها هذه الرسالة واعتمد في ذلك على الأناجيل، ولكنه في بعض الأحيان كان يستعمل ألفاظاً قاسية، ويبدو أن روح التعصب التي كتب بها ذلك الراهب رسالته هي التي سوغت للخزرجي أن يرد أحياناً بأسلوب عنيف (وانظر مجلة «البحث العلمي» المغربية السنة الخامسة العدد ١٣ص٢٣).

وظهرت بعد الخزرجي مؤلفات لابن سبعين (ت:٦٦٩هـ) والقرطبي (ت:٦٧١هـ) في نفس الموضوع وكتب

فيه الإمام ابن تيمية (ت :٧٢٨هـ) موسوعته:«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»

ويعد كتاب «إظهار الحق» للعلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني (ت :١٣٠٨هـ) وهو هندي الأصل، وقد هاجر إلى مكة بعد أن قرر الانجليز إعدامه لشجاعته في الحق وقوة عارضته في الدفاع عن الإسلام والهجوم على الملل الباطلة ـ يعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ظهرت في العصر الحديث حول الصراع الفكري بين الإسلام والقوى المضادة، ويكفي دلالة على أهميته وقيمته ما كتبته صحيفة بريطانية عنه: «لو دام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم» .

وما زال هذا الصراع قائماً، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تاسعاً : وعرفت المرحلة الثانية للاستشراق بداية التحالف الظالم بين اليهود والنصارى للقضاء على الإسلام والمسلمين، ففي عام: ١٥٠٥م كتب أحد اليهود مشروعاً لذلك التحالف وقدمه إلى البابا وضمنه النقاط التالية:

١ـ احتلال العالم الإسلامي.
٢ـ انتزاع الأرض المقدسة من المسلمين
٣ـ احتلال اليهود لفلسطين (وانظر التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص١٠٧).

ولهذا دخل اليهود ميدان الاستشراق، وقدموا إلى الدول الأوربية المسيحية كل ما عرفوه عن المسلمين من مواطن الضعف والقوة ومن ثم كانوا عوناً لهذه الدول على احتلال الشعوب الإسلامية، وتحقيق الحلم الصهيوني باغتصاب فلسطين، كما أنهم فاقوا المستشرقين المسيحيين في إذاعة الافتراءات حول الفكر الإسلامي.

عاشراً : وكان لكل ما أسلفته من خصائص هذه المرحلة في تاريخ الاستشراق أثر بالغ في تعميق الهوة بين الأوربيين والإسلام، لقد كانت مؤلفات المستشرقين وترجماتهم للقرآن الكريم وما روجت له الكنيسة من أساطير وأباطيل المرآة التي تعكس صورة هذا الدين، وهي بلا جدال صورة منفرة مخيفة، فهي لا تحكي غير الهرطقة، (أي الكفر والإلحاد) والوحشية والسلب والنهب ولذا اشتد الخوف من الاسلام والكراهية له، وتواطأ الجميع على مناهضته، واغتصاب أرضه، وإذلال المؤمنين به، وتوارثوا هذا جيلاً بعد جيل حتى الآن .



في الشطر الأول من هذا البحث أَبَنْتُ ازدواجية العلم والدين من وجهة النظر الإسلامية، وأوضحت قيام رسالة الإسلام على العلم، وأتابع هنا الكلام عن الإيمان وثماره والشباب وقضاياهم.

إن الدين أو الإيمان بالله تعالى-وبقية شعاب الإيمان-مركوز في أصائل النفس الإنسانية، فهي لا تستغني عنه بحال، وينقذها في أوقات المحنة والأزمات من كثير من المشكلات والعقد النفسية، ويدفع الإنسان دفعاً إيجابياً قوياً نحو بناء المستقبل، وتجاوز مخلفات الماضي، علماً بأن الإسلام صريح في الأخذ بمبدأ المسؤولية الشخصية، ولا يتحمل أحد وزر غيره، ولا يولد إلا نقياً سليماً غير مثقل بأعباء أي خطيئة لغيره.

وثمار الإيمان بالله عز وجل كثيرة متعددة، منها ثمار إثبات وجود الله تعالى أولًا، ومنها ثمار الإقرار بوحدانية الله سبحانه ثانياً، فإذا آمن الشاب أو أي إنسان بوجود الله، انحلت من فكره عقد ومشكلات كثيرة، أهمها رفض المذهب المادي أو الإلحادي بأن الإله هو المادة، والحياة مادة فقط، ومنها إطاعة الله تعالى وامتثال أوامره والاهتداء بهديه، والله

سبحانه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، ومنها الاستقامة على منهج الله وهداه الذي يحقق أطيب الثمرات، فيحفظ للشاب صحته وقوام حياته، وينأى به عن كل المضار والمؤذيات.

والإيمان بالله تعالى وطاعته يستلزمان الإيمان بأنبيائه والتصديق بكتبه، وبالغيبيات التي أخبر عنها القرآن الكريم. وكذلك الإيمان الصحيح يهدي إلى أن الإسلام خاتم الديانات السماوية، والإقرار بكل ما جاء في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، والالتزام بما في الإسلام من كونه منهج حياة، وسبيل اعتزاز وإكرام للنفس البشرية، ووجوب العمل بمقتضاه والجهاد من أجله، فلا يذل إنسان إلا لله تعالى، ولا يخضع إلا لربه الذي خلقه وأوجده، ولا يضحي بنفسه بالدفاع عن دينه وشرف أمته إلا ابتغاء رضوان الله تعالى.

وإذا آمن الشاب أو الإنسان بوحدانية الله، حقق لنفسه معنى الاستقلال والحرية، دون أن يكون لبشر سلطان عليه، كما أنه يوفر لذاته السمو والعزة والكرامة والجرأة والشجاعة والعفة والتحرر من سيطرة الآلهة المزعومة ومحاولة استرضائها عبثاً بالقرابين المقدمة لها، فلا يخشى أحداً غير الله ربه، ولا يعتقد برازق سواه، قال الله تعالى: **(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر له إن الله بكل شيء عليم)** «العنكبوت/٦٢» **(قل لن يَصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)** «التوبة/٥١» **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)** «آل عمران/١٤٥»

والتوحيد يحرر الفكر البشري والنفس الإنسانية من الخضوع لأحد غير الله سبحانه، سواء أكان من الأجرام السماوية أم من الجن والإنس، أم من الجمادات ففي الخضوع لهذه الأشياء من دون الله منتهى الذلة والمهانة والاستعلاء والطبقية، وبخاصة في عبادة الجمادات والأصنام أو شخصية إنسان، قال الله تعالى: **(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)** «الأعراف/١٩٤» **(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)** «فاطر/١٤»

والإيمان بوحدانية الله يحقق مبدأ الوحدة والمساواة بين الإخوة من أبناء البشر؛ لأنه يوجه الناس جميعاً نحو إله واحد وغاية واحدة، وبدون ذلك يتفرقون فرقاً وأحزاباً، وعصبيات متعددة، لتعدد الآلهة وخضوع كل فئة لواحد منها، قال الله

سبحانه: **(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)**«يوسف/ ٣٩».
وبدهي أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً فكرة تجسد الله سبحانه بأحد من البشر، لأن الله ذات عليا فوق الكون كله.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد: «إن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية، وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية، وإن الإله الواحد «ذات» ولا يسوغ في العقل أن يراه غير ذلك، وتلك الذات كمال مطلق، **(فليس كمثله شي)** «الشورى/ ١١» وإن العقل المحدود لا يحيط بالكمال المطلق الذي ليست له حدود».

وفي إطار تحقيق مدى الصلة والربط بين العلم والإيمان، تثور قضية العقيدة في أذهان الشباب المفتونين بالتقدم المادي المعاصر، علماً بأن قضايا الشباب كثيرة متنوعة بحسب كل مجتمع، فالشباب الذين يعيشون في المجتمعات المتقدمة في الحضارة المادية كأمريكا وأوروبا ونحوهما يعانون من الفراغ الروحي، وخلو القلب من طاقات الإيمان وما يفيضه على النفس من جو ممتع يسوده السكينة والاستقرار والصفاء والاطمئنان والراحة من الهموم والأحزان والمشكلات التي تعترضهم دون أن يجدوا لها حلاً مقبولاً أو سلوى تفرج عنهم الكروب، لذا يكثر فيهم الانتحار والهروب من واقع الحياة المتمدنة، واللجوء إلى العيش البدائي تحت شعارات متعددة كالهيبيين وأمثالهم الرافضين للحضارة الغربية.

والشباب في الدول الشرقية الاشتراكية يفتقدون أيضاً المعنى الروحي الإيماني بالله عز وجل، كما لايتمتعون بكثير من حقوق الإنسان،فهم إن وجدوا لقمة العيش البسيطة محرومون من الحرية والكرامة والمساواة والحقوق السياسية والديمقراطية، لذلك بادروا إلى تصحيح المبادىء وإعادة البناء في ظل المبدأ الجديد المعروف وهو «البيروسترويكا».

والشباب في البلاد العربية أو الإسلامية ودول العالم الثالث أو البلدان النامية يعيشون في متاعب كثيرة، وتتنتابهم هموم وأحزان متنوعة، ويتعرضون لنوع من القلق الدائم الذي يحتاج إلى العلاج السريع، فهم لا يتمتعون بنحو كاف بحقوقهم السياسية بسبب تغلب الأنظمة الاستبدادية ويكادون يشعرون أمام الغزو الفكري الاستعماري والثقافي الغربي ومحاولات التغريب بأنهم دون غيرهم، ويفتقدون الكثير من حقوق الحياة الحرة العزيزة الكريمة، وتهدد بعضهم المجاعات المتكررة وحوادث الطبيعة من فيضانات

وحروب وفتن داخلية وغيرها، ويعانون أحياناً من الثالوث المخيف الهدام وهو «الفقر والجهل والمرض» ولا يتوافر لديهم الدخل المادي الكافي، وإذا حصلوا على الشهادات الجامعية، عجزوا عن تدبير شؤون الزواج وإعداد المنزل المقبول نسبياً، وظلوا سنوات يبحثون عن العمل، إما في وظائف الدولة أو في القطاع الخاص، وهم في زهرة العمر ما يزالون يعتمدون على تمويل الوالد، مما زاد من نسبة البطالة وانتشارها في المجتمع. وربما كان الإيمان هو الدرع الوحيد الذي يعزيهم، ويقذف فيهم روح الصبر والمصابرة.

وكثير من الشباب يعانون من مشكلة الفراغ، كما أن العزوف عن القراءة، والاكتفاء بتصفح الصحف أو الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية أو الشهرية، والاستماع إلى المذياع ومشاهدة التلفاز، كل ذلك أوجد نقصاً في تكوين الشباب وتمكينهم من معالجة أمور الحياة برأي صائب، وفكر ثاقب، وعقل سليم، وربما اعتمد بعض الشباب في تكوينهم على أفلام الجريمة والجنس، وتلك هي مزالق الانحراف.

ومن أخطر ما يعاني منه شبابنا قضية تقاذف المسئوولية أو اللامبالاة في كل شيء، والعجز عن تحمل مسؤوليات تكوين الأسرة، فقد تتوافر القدرة المادية عند بعضهم، لكن الخوف من مطالب الحياة وتربية الأولاد يدفع بهم إلى العزوف عن الزواج وبناء البيت، وعندها يقع الشاب في مهاوي الرذيلة واقتراف الفاحشة.

وربما كان العامل العادي أقدر على مواجهة الصعاب والمشكلات من المثقف الجامعي.

كل هذه المظاهر والأحوال ونحوها أوجدت نوعاً من التمرد لدى الشبان، وربما ساعدهم على ذ لك سوء التربية في الأسرة أو في المدرسة، أو في المعاهد والجامعات، كما وجه الشباب في بعض البلاد توجيهاً غير صحيح، إذ أصبحوا أبواق السلطة الحاكمة، وعنوا بقضايا جانبية، وتركوا واجباتهم الأساسية، وآل الأمر بسبب هذا التمزق الفكري وسوء الإدارة والتوجيه السياسي إلى الانحراف واتباع الشهوات والأهواء.

إن الشباب ـ كما هو معروف ـ هم عماد الأمة وطاقة عظمى لا يستهان بها، وهم ذوو إمكانات عالية وفعاليات كبرى، تجعل منهم قوة مادية وثروة غالية، فإذا انضم إليها قوة العقيدة وروح الإيمان الصحيح بالله عز وجل، واستقاموا على أمر الله تعالى، أصبحوا هم بناة الأمجاد، ودعامة الأمة والبلاد. ولا يمكن إصلاح

الشباب إلا بغرس روح الإيمان القوي بالله تعالى، فإنهم إذا آمنوا بإله واحد، ونمت فيهم روح الأخوة الإيمانية، وعاشوا أمة واحدة غير مجزأة ولا مفككة، أصبحوا الجيل الناهض بآمال وطنهم، واستطاعوا تبديد الآلام التي تجثم في ربوع بلادهم، وتخلصوا حينئذ من هذه التناقضات بين واقع المجتمع المتخلف ومقتضيات الإيمان الصحيح.

ولا علاج لمشكلات الشباب في تقديري إلا بالعودة إلى أصول التربية الصحيحة التي تعتمد على الإيمان الصحيح وإثارة الوازع الديني، والالتزام بنظام الأسرة، وربط الشاب بواقع الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه، وتعويده حب الاعتماد على النفس، ومحبة العمل والعطاء والإنتاج، وتربيته على الجد وتحمل المشاق، وغرس روح التضحية والفداء في جنبات نفسه، وتخليصه من آفات الغزو الفكري الاستعماري الاستيطاني، وتهيئة ظروف العمل له، حتى لا يكون عالة على غيره.

والتربية بهذه الأصول وفي ضوء هذه الغايات مجالها الأساسي أمران: البيت في رعاية الأبوين، والمعاهد والجامعات.

أما البيت: فهو المدرسة الأولى للتربية الدينية والأخلاقية، فعلى الأبوين تعليم الطفل والشاب كيفية معرفة الله تعالى وتوحيده، ومحبته وطاعته، وغرس أصول العقيدة الإسلامية النقية من الشوائب كما ذكرها القرآن الكريم وأوضحتها السنة النبوية، وعليهما أيضاً إبعاد الولد عن التيارات الإلحادية والأفكار الهدامة، ومراقبة سلوكياته وألفاظه وردود أفعاله في جميع أحواله العادية والعصبية، وتعويده القيام بواجباته الدينية من صلاة وصيام، وتعليمه كيفية محبة الآخرين، وحب المسالمة بعز والموادعة بكرامة، ونبذ العنف في العلاقات الاجتماعية، قال الله تعالى: «**يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**» «التحريم:٦» وقال الله سبحانه:

«**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**» «طه:١٣٢» أي أن الآباء والأمهات مطالبون بأمر أبنائهم وبناتهم بالصلاة التي تصلهم بربهم، وبتعويدهم حب الخير الذي يملأ نفوسهم، وهم ينهونهم عن الشر الذي يعكر صفو النفس المؤمنة، ويعلمونهم ويؤدبونهم على الأخلاق الرضية الطيبة، حتى يقوهم وينقذوهم من النار، ويرغبونهم في امتثال جميع التكاليف الشرعية، روى الإمام أحمد

وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

ويحسن في هذا المجال إيراد قول ابن سينا الفيلسوف المسلم في كتاب السياسة حول منهج التربية الإسلامية الأولى: «ينبغي البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقن معالم الدين، ثم يروي الصبي الشعر، مبتدئاً بالرجز ثم بالقصيدة، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب، ومدح العلم، وذم الجهل، وما حث منه على بر الوالدين، واصطناع المعروف، وقرى الضيف، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وألم بأصول اللغة نظر عند ذلك في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده».

وقال العلامة ابن مسكويه في كتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» حول تهذيب الناشئة: «فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً إلى حب الكرامة، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال، وبلزوم سنن وظائفه، ثم يمدح الأخيار عنده، ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه، ويؤخذ باشتهائه المآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويزين عنده خلق النفس، والترفع عن الحرص في المأكل خاصة وفي الملذات عامة.

فإن خالف في بعض الأوقات ما ذكرته، فالأولى ألا يوبخ عليه، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه، فإن عاد فليوبخ عليه سراً، وليعظم عنده ما أتاه».

وأما المعاهد والجامعات، وليس المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية فقط: فهي المجال الذي يكتمل فيه نضج المتعلم ووعيه، لذا كانت التربية الدينية فيها محققة المطلوب والغاية المرجوة غالباً، وقد صدر قرار من اتحاد الجامعات العربية بضرورة تدريس الثقافة الإسلامية في مختلف سنوات الجامعة، وهو قرار حكيم وصائب.

والتربية في هذه المرحلة يجب أن تعتمد على الأسس التالية:

١ ـ التلقين الواعي والمقارنة المثمرة: على المربي أن يعرف الطلاب بحقيقة الإسلام وروحه السمحة، وأنه الدين الذي أكمل الله به الرسالات السماوية، وعليه تبصيرهم بالمبادىء الهدامة والأفكار الضارة، وتحذيرهم من فقدان الشعور بالذات، وحب الأصالة، ونبذ التبعة للآخرين في ثقافاتهم وتقاليدهم

وسلوكياتهم الغريبة عن أصولنا الطيبة.

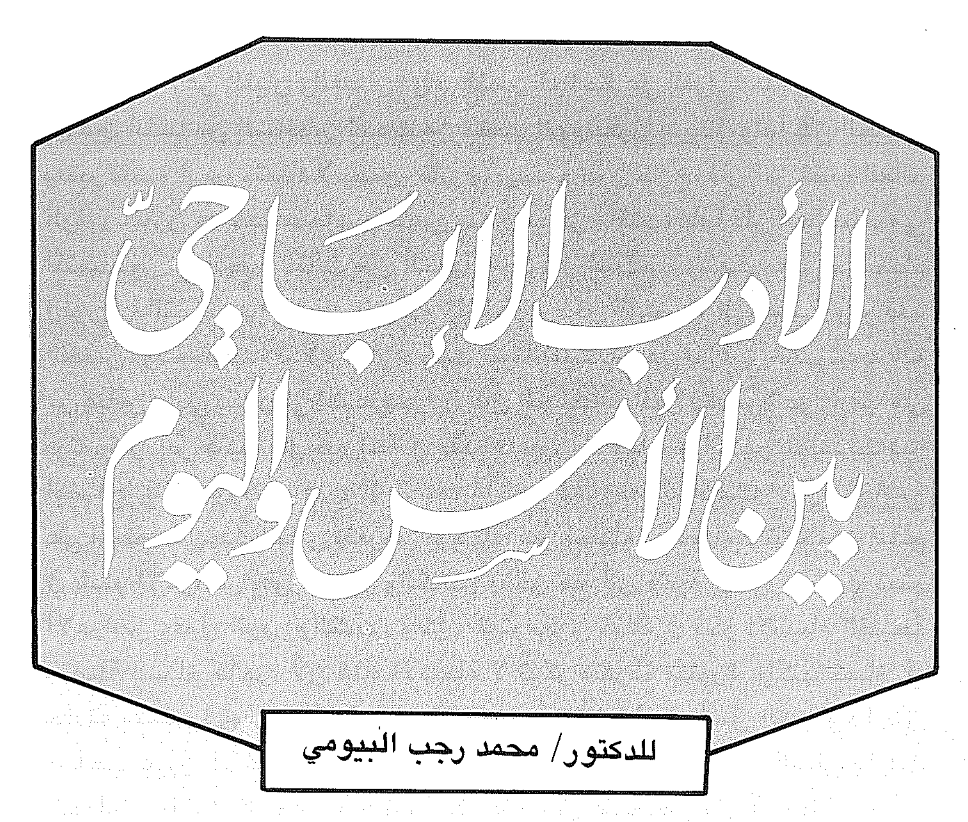
٢ ـ **القدوة الصالحة**: وذلك بأن يكون المربي قدوة حسنة أمام تلامذته قولاً وفعلاً، مخلصاً متمسكاً بدينه، مؤمناً بما يقول، مرغباً في الأخلاق الحسنة، متمثلاً لها، منفراً عن الأخلاق السيئة مبتعداً عنها، قال الله تعالى: **(ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)** «الصف/ ٢و٣» ,

٣ ـ **المطالعة الواعية**: بالترغيب في حب القراءة والكتابة، وحسن اختيار الكتاب بقراءة ما يفيد، والبعد عن الكتب الضارة التي تتحدث عن الغرام والإجرام والرذيلة وترغب فيها، والإقبال على كتب العقيدة الإسلامية والأدب الإسلامي.

٤ ـ **الرفقة الصالحة**: بأن يختار الطالب الرفيق الصالح من أهل الدين والمعرفة والخلق السامي، قال الله تعالى: **(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)** «الزخرف/٦٧» وجاء في السنة النبوية الشريفة فيما يرويه أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

ومن أصول التربية السليمة: التفاعل الإيجابي بين الشباب والكهول، والاتصال بالحياة الفعلية الواقعية والبعد عن الخيال والفرضيات.

والخلاصة: إن قيمة العلم الكبرى، وأهمية الإيمان العظمى بالله تعالى وتوحيده، وتصديق ما أنزل على رسله في كتبه، هما الذخيرتان اللتان تتعانقان في سبيل إصلاح الشباب والأمة قاطبة، فلن يستقيم الشباب، ولن تصلح الأمة، ولن تدوم الحضارة إلا بالعلم المقرون بالإيمان، وبالمعرفة التي تكون سبباً للبناء لا للهدم، وللعطاء لا للحرمان، ولإصلاح النفوس وتهذيب المشاعر وتمجيد الإنسانية الصالحة، لا للإفساد وتمزيق وحدة الشعور بالإنسانية وبالرابطة الأخوية في هذا العالم بين جميع أبناء البشر، قال الله تعالى مبيناً مبدأ الوحدة الإنسانية: **(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)** «النساء/١» وقال سبحانه مبيناً ضرورة التعاون والتلاقي بين الناس والإخاء الإنساني: **(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** «الحجرات/١٣» وثبت في السنة النبوية ـ فيما يرويه الدراقطني وغيره عن جابر أن: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله تعالى أنفعهم لعياله».



للدكتور/ محمد رجب البيومي

لا نعرفُ مَنْ مِن الشعراء العرب كان أول من تحدثوا بالفحش الاباحي فيما ينظمون، ولكننا نعرف ان مايُسمى بالشعر المكشوف في العصر الجاهلي كان من القلة بحيث لا يُقرن بالشعر الخلقي الذي ترجح كفته في ميزان الفضائل فالجاهلي ذو شمم أنِفٍ، يرتفع به عن الانحدار الطائش في أكثر مانظم من الغزل، مع انه اكثر من هذا الفن إكثارا بحيث لا تكاد تشذّ عنه قصيدة طويلة تعمد صاحبها ان تبلغ مبلغها من النفوس فبدأها بالغزل والحنين، ثم جاء الاسلام فكانت له حوافظه الخلقية الراقية، فارتفع بالمستوى الخلقي لدى الشعراء ارتفاعا نلمسه في شعراء هذه الحقبة ممن استضاءوا حقيقة بنور الاسلام، ولكن الأمر قد انتكس بعض الانتكاس فيما تلا ذلك من الشعر الأموي حيث أباح شعراء النقائض لانفسهم ان يلغوا في الاعراض ولوغا دعا الى التسفل الإباحي ثم طمّ السيل في مطلع العصر العباسي على أيدي بشار وحماد وأبي نواس ومطيع بن اياس ومن لا نكاد نحصي من الشعراء لكثرة ماتردد في هذا المجال من قصائد داعرة.

هذا في الشعر، اما النثر ـ علميا وفنيا ـ فلا نعرف قبل الجاحظ كاتبا فتح باب القول في الادب الإباحي بإفراطٍ بشع، تراه على أوضح وجوهه في كتاب (الحيوان)

وفي رسائله (عن القيان والغلمان) ولم يقتصر الجاحظ على القول العام دون تحديد، بل عين أناسا من الساقطين تحدث عن منحدراتهم مكررا مرددا، واذا كان الجاحظ يعتبر نفسه أديبا متساهلا يصور مايرى ويسمع دون حرج، فان ابن قتيبة العالم الوقور المتزن قد حبذ منحاه، واقتبس منه في بعض ماكتب، فاذا كان الجاحظ يرمي المتشددين في الجزء الثالث من الحيوان بالوقار المتكلف، ويتهكم على ماسماه التورع والتصنع داعيا الى الإباحة المطلقة في ذكر الاعضاء التناسلية ومواقف الجنس، ومستشهدا بكلام لا أراه يثبت ثبوتا أمينا عن علي بن ابي طالب وعبد الله ابن عباس وابي بكر رضي الله عنهم، اذا كان الجاحظ قد فعل ذلك، ولا غرابة فيه من مثله، فان ابن قتيبة قال صراحة في مقدمة عيون الأخبار، (واذا مر بك حديث فيه ايضاح بذكر عورة، او فرج أو وصف فاحشةٍ فلا يحملنك الخشوع او التخاشع على ان تصعّر خدك للناس وتعرض بوجهك، فان اسماء الاعضاء لا تؤثم وان المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب) ونحن مع ابن قتيبة في ان المأثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب، ولكن المأثم يكون كذلك في ذكر الاسماء القبيحة متصلة بسياق فاجر، لان هذه الأسماء لا تُذكر منفردةً مبتورة، ولكنها تُساق في حادثة مشتهرة أو وصف ماجنٍ لموقف منحدر فتفتح أبوابا من الشر، واذا كان صاحب عيون الأخبار يقول بعد ذلك، ولم أترخص لك في ارسال اللسان بالرفث لتجعله سبيلك في كل حال، وديدنك في كل مقال، بل الترخيص مني في حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية، ويذهب بحلاوتها التعريض، اذا قال الرجل

الوقور ذلك فان مادعا اليه من الاقتصار في هذا الضرب لم يجد موضعا للاصغاء اذ ورط المؤلفين من بعده في ذكر فضائح مندية صارت هي الاصل في التأليف، وصار ماعداها تبعا لها، وكتاب اليتيمة بأجزائه الاربعة للثعالبي قد حُشى حشوا بما يندى له الجبين، ولا ينقص الادب العربي شيئا اذا حذفت منه الاشعار الماجنة، لا سيما وبعضها لا ينتسب الى الشعر في صقله الاسلوبي، وخياله التصويري، ولكنه اشبه بفحش السوقة ممن يعشقون البذاءات مرضاةً لنشأة عقيمة في ظلال الحرمان، أجل، لن يضير كتاب اليتيمة بأجزائه الاربعة في فنهِ الاسلوبي اذا حذفت منه هذه العورات، وفي عصر الثعالبي وجد شاعر رقيع اسمه ابن حجاج لم يخل قصيده من ابشع مايقال، وبالغ في الانحدار بذكر القاذورات النجسة، ذكرا تتقزز منه المشاعر، وتنفر الاحاسيس، لأن كلامه التقريري في هذا المجال اشبه بكلام السفلة من رعاع الرعاع! افيدري القارىء ماعقبى هذا الديوان الخسيس؟ لقد احتفلت به جامعة (جيسن) في ألمانيا، حيث قسمته الى عشرة اجزاء، ووزعته على طلاب الدكتوراه من ابناء العرب والمسلمين ليأخذ كل دارسٍ

قافية كالهمزة أو الباء أو الراء أو النون أو الميم أو العين او الياء مما يكثر فيها الوزن، لتكون كل قافية من هذه الحروف وحدها مجال التدوين والذيوع في رسالة علمية دون دراسة منهجية، بل يُكتفى بتقديم مبتورٍ عن الشاعر وعصره وكأن صاحبه يكتب ارشيفا فقط! وبين يدي الجزء الخاص بحرف النون وهو يشمل ٣٦٠ صفحة، كلها فجور متهتك وليس بها من الخيال والتصوير ما قد يشفع لها عند من يزعمون ان الفن للفن، وانت تتساءل لماذا اهتمت جامعة (جيسن) بابن حجاج وامثاله من الرقعاء وحدهم!

فتعرف ان الغرض الواضح هو كشف انحدار من غرقوا في الاسفاف المبتذل الى الأذقان، دون ان يبدعوا شيئا من الفن الشعري الاصيل، باعتبارهم انموذجا لشعراء العرب في مختلف العصور، وكأن الشعر العربي لم يعرف سواهم من ذوي المروءات!

واعجب شيء ان نجد لدينا من اغواهم نشر هذه السقطات الوبئية فعدوها من الصور الخالصة للفن، واتجهوا الى أمثالها في الادب الاوروبي شعرا ونثرا ـ وبخاصة في ميدان القصة ـ لينقلوه مترجمين، ويحاكوه مؤلفين، ويحبذوه ناقدين!!

ثم يتتبعوا طوائف من الأقوال الساقطة التي تؤيد هذا الاسفاف مثل قول القديس كليمان: (أنا لا اخجل من الكلامِ على أعضاء الجنس لأن خالقها لم يخجل من خلقها) وهو قول يحمل من التوقّح والسفه ما يُستغرب من قسيس يُقال انه ذو قداسة واذا قال القديس ذلك فماذا يقول العربيد الوضيع! واذا شئنا ان ننقل غرائب مماثلة لهذا القول تروى لعشرات من الادباء هناك فلن يعوزنا شيء، ولكننا نتساءل لماذا نذيع اقوال المستهترين بيننا، ونحرص على التبجح بها في مجال الحديث عن الفن للفن، ولا نذكر اقوال الطرف الأخير ممن ينأون بمقامهم عن الاسفاف! فتولستوي مثلا لا ينكر مكانه في الادب الروسي بخاصة، والادب العالمي بعامة، وهو يقول صريحا ـ ومكررا ومعيدا ـ «ان الفن الذي يستهلك جزءا كبيرا من نشاط الانسان لا ينبغي ان يضيع في وصف الشهوات الآثمة» واذا كانت غاية الفن لدى تولستوي ان يتصل بنفوس الجماعة، وان يرتفع بمستواها الشعوري فلابد ان يتمسك بالفضائل، وان يلتزم بالشعور الديني النبيل! هذا القول الحكيم لا يُلتفت اليه في مجال الرصد لأقوال المفكرين، لانه لا يرضي نزعات المتسفلين، اما مايشبع هذه النزعات ويدفعها ان تخوض في الأوحال، وان تعمل على ايجاد جيل مريض فلابد ان يذيع ويشيع.

أذكر ان الاستاذ الكبير أحمد حسن الزيات قد حارب الادب الماجن في مجلة

الرسالة محاربة لاهوادة معها، فكان يحرم نشر مايأتيه من هذا اللون، وفيه قصص، وقصائد لأعلام من الكتاب والشعراء في الشرق والغرب، وحين تعرض لعتاب بعض من لايفهمون رسالة الادب على وجهها الصحيح، لم يشأ ان يجعل الرد نقاشا بين كاتبين ليوقد حومة لا يجد خيرا في اشتعالها، ولكنه صدر احد اعداد الرسالة بافتتاحية جعل عنوانها (ادب اللذة وادب المجون) جاء فيها قوله ـ ببعض التصرف اليسير ـ (ولكن دواعي أدب المجون التنفيس عن رغبة مكظومة، او التعبير عن عاطفة جائشة ، والتحرر من التزامات مقيدة ، وأقل دواهيه أن تزول الحدود بين المعروف والمنكر، فلا يكون هناك فارق بين حلال وحرام، ولا بين نظام وفوضى، ولا بين انسان وحيوان، والذين كانوا في القديم يقولونه كانوا ينشئونه لانفسهم لا للناس، ويتناقلونه في السر لا في العلن، ويتفكهون به في المجالس الخاصة لا في المجامع العامة، ولو كان لهم مالنا اليوم من طباعة تنشر، وصحافة تذيع، وجمهور يقرأ، لتحرجوا من أكثر ما قالوه، فان الناس مذ بثَّ الله في ابويهم آدم وحواء فضيلة الحياء، فخصفا على جسديهما العاريين من ورق الجنة، شعروا ان للجنس عورات لا تظهر، ولما هذبهم الدين، ووثقهم العلم، وصقلهم التحضر، شعروا كذلك ان للفكر عورات لا يجوز ان تنشر، فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق، يقولون ويفعلون في خلواتهم ومباذلهم ماشاءوا، ولكنهم بحكم الدين والقانون والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم ما استطاعوا فلا يقولون كل حق، ولا يصورون كل حالة، ولا يظهرون كل شيء، مراعاة لشعور الجملة، ومحافظة على كرامة الانسان!)

والاستاذ الزيات يتحدث عما كان، لاعمَّا ينبغي ان يكون، اذ مما ينبغي ان يكون، الا يقول الناس أو يفعلوا في خلواتهم ومباذلهم ما يُغضب الله، ولم يكد مقال صاحب الرسالة يرى النور، ويقرؤه الادباء حتى نعب عليه من نعهد فيهم التبذل والاستخفاف، فقال احدهم في مجلة اسبوعية اشتهرت بالانحدار (ان الزيات لم ينس في شيخوخته انه أزهري، جلس على الحصير في صحن الازهر) وكأن الأزهرية سبة شنعاء لدى من يرى التحلل الخلقي باب اللذة والترويح، واهلا بها اذا كانت ميزان الخلق الجاد وموئل الصراط القويم!

لقد كنت في ندوة الرسالة حين نُشر هذا العبث وقرأه الزيات، فسمعته يقول ان دعاة الفضيلة كثيرون في الشرق والغرب وليسواهم الازهريين وحدهم! واذا كان الناقد السطحي لا يعلم ذلك فليقرأ ماكتب في الحرب العالمية الثانية عند سقوط فرنسا، حيث ارجع كثيرمن الكتاب هزيمة الجيش الى انحلال المجتمع، وتهالكه على اللذائذ، وإسرافه في العبث والمجون! ومن هؤلاء الاديب الفرنسي الشهير (رومان

رولان) اذ يقول من كلمة ضافية: إن الامم الضعيفة الاخلاق، الماجنة التفكير، في اد بها وحياتها، يتسرب اليها الخمول والاستسلام، تسرب الانحلال في الشجرة النخرة، فاذا لم تتلاف الامم هذا الداء الوبيل، قاضية على جراثيمه الفتاكة سارت الى الانقراض، ان الضعف الخلقي تمشى في الاوضاع الاجتماعية والادبية بعد الحرب الاولى قاضيا على عزة النفوس، فغدا الاديب لا ينشد في أدبه سوى الاغراض الدنيئة، وأمسى الرجل المسئول لا يفكر الا في الاغراض الحقيرة، فهل كان (رومان رولان) أزهريا تعلم في صحن الازهر، وجلس على الحصير! ان اصحاب الفكر الراقي من رؤساء الدول الغربية يتفقون مع الكاتب الفرنسي في اتجاهه اللائم، ونحن نعرف الرئيس الخطير (مازاريك) الذي جمع بين زعامة الفكر والسياسة معا! فكان رئيس تشيكوسلوفاكيا الذي يدير زمام الحكم بمهارة فائقة، وهو في الوقت نفسه فيلسوف أوروبا الذي تستمع اليه ارقى العقول في جامعات الغرب شارحة محللة!! هذا الرئيس المفكر قد راعه انحدار القصص الاوروبي بعامة، والفرنسي بخاصة الى مستوى الغريزة العارية، والشهوة الوضيعة، فقال: للويس بارتو الوزير الفرنسي حين زار تشيكوسلوفاكيا ناقدا في صراحة لا تنقصها الجرأة!

(ان ابطال قصصكم الجديدة عامة، تحركهم الشهوات الوضيعة، والحب الجنسي الشره، ويمكنكم ان تتأكدوا اننا قد مللنا، بل قد اجتوينا هذا الضرب المأفون من الروايات العاطلة السقيمة، التي لا تطالعنا فيها سوى امرأة سليطة، يحبها اثنان أو ثلاثة عدا زوجها (الصنديد) الذي تخدعه بشتى الحيل، وهكذا في دائرة بغير انتهاء، فهل هذا هو الفن الكتابي الذي اشتهرتم به على مدى العصور، ذلك لا يمكن ان يكون، بل هو زيغ، وكبوة، في الادباء المعاصرين، فاذا لم تقضوا على هذا الداء الوبيل دفعتم غاليا ثمن تهاونكم) مجلة الرسالة

فاذا كان تولستوي ورومان رولان ومازاريك قد اعلنوا سخطهم الحانق على هذا الادب الهابط واذا كنا نأنف ان نتلقى النصيحة من كاتب عربي كالاستاذ احمد حسن الزيات، ونعده أزهريا جلس في صحن الجامع العتيد، فماذا نقول في أعلام الغرب الذين ننبهر بكل مايقولون، وقد لانفهم أكثر مايقولون ، ولكننا ننبهر لأننا أقزام في طي نفوسنا ، مهما ارتفعت الرءوس ، وانتفخت الأوداج !

تُرى أيظن بعض القراء أنّي أترك مجال الأدب إلى الوعظ الخطابي ، حين أسجّل عار الأدب الداعر ، وأثره الناخر في الأمم والأفراد ، إني أقدم الرأي مشفوعا بدليله ، ومؤيدا بنصوصه ، وموثقا بقائليه ! فإذا برم به قارىء متأزم ، فليسأل نفسه أولاً ، أهو أسير غريزته الرعناء أم هو محايد أمين ؟

وقفة تأمل

الحلول العرجاء

● لا تسلني يا صديقي: من أين نبدأ؟.. فحالنا لا يسر عدوا ولا حبيبا.. انتشرت الأمراض والعلل في كل شئون الحياة.. ويكاد الثوب الذي يستر جسد الأمة يبلى.. فقد تعددت به الخروق واتسعت..

● ضع إصبعك يا أخي على أي شريان من شرايين حياتنا.. سوف ترى بعينيك ـ دون الحاجة إلى مجهر ـ كم من الجراثيم والميكروبات يحمل الدم. وكيف تتدمر خلاياه..

● في الوظائف الحكومية.. تسيّب.. وعدم اكتراث.. وتراخ في العمل.. وتعطيل لمصالح الناس.. والقاعدة:ابذل أقل مجهود واحصل على الكثير.. وفكّر في نفسك أولا.. وانظر إلى مصالح الناس من خلال مصلحتك..

● وفي قطاع التجارة.. احصل على الربح الكثير.. ولا تفكر في الوسيلة.. ليكن عن طريق الغش والخداع والتدليس.. ولا مانع أن تسرق ما في جيب المشتري ما دامت السرقة تقع في صورة بيع وشراء..

● وفي العلاقات الإنسانية.. تحكمها المصلحة، وتضبطها المنفعة، والناس حول أصحاب المناصب كالذباب حول ..... فإذا مازال المنصب.. فكأنه «لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر».. على حد قول القائل..

● حتى في مجال السياسة: النفاق عملة رائجة.. وخداع الشعوب جائز.. وضربها بسياط قسوة الحياة وكثرة متطلبات العيش هو الضمان الأكيد لتمرير ما يريده الأعداء لأمتنا من ضياع وتخلف..

● كل وجوه الحياة عندنا مشوهة.. ومشاريعنا في معظمها معطلة.. انظر في القطاع الزراعي.. والقطاع التجاري.. والقطاع السياسي.. بل انظر داخل الإنسان.. فسوف تجده خاويا.. الدين مجرد صور

وحركات.. لا ضوابط.. لا رقيب ولا وازع يمنع من الشر.. القيم ضائعة.. والمبادىء تباع في سوق النخاسة.. من أجل لقمة العيش.

● فلا تسلني يا صديقي من أين نبدأ؟..

● حيث يمكنك أن تبدأ لو أردت الإصلاح من الموقع الذي أنت فيه.. الداء حولك إن لم يكن فيك.. فحاول إصلاح نفسك أولا .. ثم انتقل إلى ماحولك..ولاتيأس..فما عليك وما علينا إلا الإصلاح ما استطعنا..

● فقط ينبغي أن يكون الإصلاح حقيقياً.. أن يكون علاجا فعلا لا مجرد مسكنات.. أن تكون الحلول بناء على وصفة صادقة تحدد الداء وتصف الدواء.. لا حلولا عرجاء.. تستر ظواهر الأمراض.. ولا تزيلها..

● فمثلا.. منذ أيام انشغلت صحافتنا اليومية وإذاعاتنا وتلفزيوناتنا العربية بالحديث عن مضار التدخين.. والأمراض التي يسببها.. ونصحت الناس بالامتناع عنه.. وذكرت نسبا مخيفة للمصابين بأمراض السرطان والتشوهات.. وأمراض القلب وغير ذلك.. ولكن مازال الناس يدخنون.. ومازال عدد المدخنين في تزايد.. ولسوف تسير الأمور إلى الأسوأ..فالإنسان عدو نفسه.. يتعاطى المخدرات بشتى أنواعها وهو يعلم علم اليقين ضررها.. والعلاج الحاسم يا سادة، ـ والممكن ـ أن تمنع السلطات المختصة استيراد السجائر.. فتستريح السلطة.. ويستريح الناس.. وأليس عجيبا ومضحكا.. أن ترى الإعلان عن السجائر.. وتحت الإعلان «احذر التدخين فإنه مضر بصحتك».

ألم أقل إنها حلول عرجاء!!

● لقد رأيت ولدا لا يتجاوز عمره الثانية عشرة يدخن سيجارة.. فلما نصحته بالامتناع عنه.. قال: يا أستاذ والله لو تكلمت لمّا.... لا فائدة.. فلن أتوقف عن التدخين.. ولماذا أتوقف؟! والجميع يدخنون؟! الوالد والوالدة والإخوة.. الجميع.. قلتُ: يا بني إني لا أستطيع أن أنزع السيجارة من يدك.. غير أني أقول لك وأحذرك من سوء العاقبة.. ثم تساءلتُ بيني وبين نفسي: من المسئول عن ضياع النشء؟!.

فهمي الامام

شخصية العدد:

محمد الصادق عرجون

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

فقد العلم في اليوم الأول من القرن الخامس عشر الهجري، أحد العلماء الأفذاذ، الذي طالما صال وجال في شتى دروب الفكر والعقيدة والمعرفة، باستاذية ونبوغ وتفرد، بعد ان خدم كتاب الله الكريم، وسيرة سيد المرسلين ورجالات الصدر الأول من الإسلام، بقلمه ولسانه، وتبحره في العلم، فترك لنا مجلدات ضخمة مستوعبة، أودعها خلاصة فكره، وعصارة ذهنه واطلاعه الواسع العميق.

كما ترك لنا العديد من الدراسات الإسلامية والتاريخية والأدبية، لازال الكثير منها مبعثرا في بطون الصحف والمجلات، ينتظر من يقوم بعد باستنقاذه من يد الشتات والتبدد، في كتب مستقلة، قائمة بذاتها في كل موضوع على حدة.. وكيف لا، ومن نتحدث عنه، هو فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون، الذي مازال اسمه مسطورا بحروف من نور، في مخيلة تلاميذه وعارفي فضله.

ولم يُتح لكاتب هذه السطور معرفته، رحمه الله، عن كثب،إلا أن العكوف على قراءة آثاره القلمية، وأحاديثه الدينية الإذاعية، وتفسيره لآيات الله البينات، جعله يسارع إلى محاولة استدراك ما فاته من النهل من هذا النبع الصافي، والمورد العذب الشافي.. وهو يناجي صاحبه، بقوله:

عبرت فيمن إلى الفردوس قد عبروا
ولست تحسب فيمن في الثرى قبروا
إن يودع الجسم في أغوار مقبرة
فكم كنوز بجوف القبر تستتر
والنبل والطهر إذ حفا بجوهره
يظل نفح التقى في الرمس ينتشر
لكم بذرت بذور الخير مدكرا
يوم الرحيل.. فطاب الغرس والثمرُ

وقد كنت إزاء تراثه، رحمه الله، أشبه ما أكون بملاح تائه، يخوض غمار بحر لجيٍّ زخّار.. ولذا حاولت جهدي، أن أقتصر على وصف درره ولآلئه، قرب الشاطيء، محاذرا الغوص إلى أعماقه، ما استطعت، حتى لا يطويني العباب بين طياته، ولا أتمكن من إنجاز هذه الدراسة الموجزة عن حياته ونتاجه الفكري، تحية لذكراه، ووفاء بحقه علينا، وإعطائه بعض مايستحق من تقدير وتنويه وإشادة، وهو الذي أُثر عنه، ترديده الدائم لهذه العبارة: «أعط العلم كلك، يُعْطِكَ قطرة منه» وإن كان هذا القول لا ينطبق على موسوعته الكبرى عن (سماحة الإسلام)، التي جاءت في مجلدين كبيرين، تجاوزت صفحاتهما ألف صفحة من القطع الكبير، كشف فيهما، رحمه الله، عن ثروة الإسلام التشريعية، ودعائمه الأصولية، وقيمه الروحية، التي انبثقت من مكارم الأخلاق. وبخاصة أيضا، كتابه: «محمد رسول الله» الذي استغرق أربعة مجلدات ضخمة، من ذات حجم الكتاب السابق «سماحة الإسلام» وبضعف عدد صفحاته، وقد تفرغ له تماما لمدة عشر سنوات، حتى تاريخ وفاته في أول أيام القرن الخامس عشر الهجري، الموافق التاسع من نوفمبر سنة ١٩٨٠م.

وتم انجاز معظم مراحل هذا العمل في الفترة التي قضاها الشيخ استاذا بجامعة الملك عبدالعزيز.

حياته:

ولد الشيخ محمد الصادق بن إبراهيم بن سليم عرجون في قرية «إدفو» بمحافظة أسوان، في التاسع عشر من شهر يوليو عام ١٩٠٣م، وبعد أن حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية، التحق بمعهد أسيوط الديني، ثم تخرج من الأزهر على نظامه القديم

فنال شهادة العالمية عام ١٩٢٩، ثم شهادة التخصص عام ١٩٣٢، وعين مدرسا بمعهد طنطا الثانوي، ثم نقل إلى معهد القاهرة الثانوي، ثم نقل إلى كلية اللغة العربية، ثم عين أستاذا بكلية أصول الدين، ثم شيخا لمعهد دسوق الديني، ثم شيخا لمعهد أسيوط الديني، ثم شيخا لعلماء الإسكندرية، وعميدا لمعهدها، ثم مديرا للمعاهد الابتدائية ومدارس القرآن الكريم، ثم وكيلا للإدارة العامة للمعاهد الدينية، ثم عميدا لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، بعد أن حصل على شهادة «الدكتوراه» في التفسير وعلوم القرآن، على النظام التطوري الحديث لجامعة الأزهر، ثم أحيل الى التقاعد عام ١٩٦٨م لبلوغه السن القانوني.

وقد بدأ حياته العملية، وهو طالب في القسم العالي، بالعمل في الصحافة. فكان مصححا ومحررا بمجلة « الأزهر » التي كانت تسمى « نور الإسلام » ، وعمل أيضاً مصححا ومحررا بجريدة الأهرام، وله فيهما : ـ الأزهر والأهرام ـ وفي غيرهما من الصحف والمجلات، العلمية والأدبية، مقالات وبحوث كثيرة، في موضوعات دينية وأدبية وعلمية.

وله في مجلة «نور الإسلام» وحدها، دراسات مسهبة عن حياة رجالات الإسلام تحتاج لإصدارها إلى عدة مجلدات. وقد كنت أعتقد في بادىء الأمر، أنه اقتصر في هذا المجال على الكتابة عن عثمان رضي الله عنه، بالكتاب الذي صدر له عنه منذ سنوات، بالإضافة إلى كتابه عن سيف الله المسلول «خالد بن الوليد» وإذا بي أفاجأ، بالبحث والتنقيب، بأنه كتب أيضا عن «أبي بكر الصديق» رضي الله تعالى عنه، سلسلة من البحوث، جاءت في أعداد المجلد الثاني عشر من مجلة «نور الإسلام» كما نشر بها أيضا سلسلة أخرى وافية من البحوث، عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب، رضي الله عنهما .. ومضى لغايته في الكتابة عن حياة رجالات الإسلام، من أمثال: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو. وله بمجلة «الوعي الإسلامي الغراء» دراسات وافية عن الإمام ابن تيمية وداعية الصدر الإسلامي الأول «الحسن البصري» وعن «مصعب بن عمير» ودراسة عن «تراثنا الحضاري» وقبل ذلك دراسة ونقد لكتاب المصاحف لابن داود .

كما كتب عن «الأنصار» وكيف استقبلوا الإسلام، وعن «حرية الرأي

في الإسلام» وعن «قادة الفكر في تاريخ الإسلام» وكتب عن «الإسلام» والمباحث النفسية» وعن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنوان: «شمس الهداية» وعن «أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية» و«من نفحات النبوة» وعن «أسلوب القرآن الكريم وأثره في الأدب»، وعن «موقف الدعوة الإسلامية من الشعر والشعراء».

وقد كتبت الاستاذة الدكتورة بنت الشاطىء عن كتابه «نظام الحكم في الإسلام» تقول: «أخرجت مطابع (دار الكتاب العربي) بحثا قيما عن نظام الحكم في الإسلام، ألقاه فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون: شيخ معهد أسيوط الديني، على جمهور من أهل العلم والأدب، في قاعة المحاضرات بالمعهد، فلمسوا فيه من سعة الأفق ومرونة التفكير والاتصال بالحياة، ما جعلهم يرجون طبع البحث، وها هو ذا بين أيدينا، يعرض بأسلوب قوي الحجة، صورة لنظام الحكم في الإسلام من الوجهة التاريخية، والسياسية، والعملية». ثم تقول: ولا يكاد يدخل في صميم البحث، حتى يتكلم بأسلوب رصين، قوي الاستدلال، مع دقة في التناول، وبراعة في العرض، إلى أن يصل بالبحث إلى غايته، وهي الدعوة إلى أن نعود إلى تاريخنا ومجدنا، ونعمل بنظام الحكم الإسلامي». وعن كتابه (عثمان بن عفان) يقول الاستاذ علي العماري: «هذا كتاب لم يزل موضعه خاليا في المكتبة العربية، حتى جاء الكاتب النابغة الشيخ صادق إبراهيم عرجون، الأستاذ بكلية اللغة العربية، فملأ هذا الفراغ» كما قال الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ علي الطنطاوي عن ذات الكتاب، إنه «كتاب جيد جدا في بحثه وأسلوبه، «أشهدها شهادة لله وللعلم».

ومن مؤلفات الشيخ عرجون المطبوعة:

١ ـ خالد بن الوليد.
٢ ـ عثمان بن عفان.
٣ ـ حجة الإسلام الغزالي.
٤ ـ القرآن العظيم ـ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين.
٥ ـ التصوف في الإسلام.
٦ ـ حرية الفكر في الإسلام.
٧ ـ الأدب بين القديم والحديث.
٨ ـ عظمة محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته.
٩ ـ الدين منبع الإصلاح الاجتماعي.
١٠ ـ الدستور ونظام الحكم في الإسلام.
١١ ـ من رياض القرآن.
١٢ ـ موقف الإسلام من المخترعات الحديثة.

١٣ ـ بيني وبين الأستاذ محمد فريد وجدي (الحياة الأدبية عند العرب قبل الإسلام).
١٤ ـ رد مزاعم رسالة في قراءات القرآن (قُدمت إلى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية لنيل الدكتوراه، ونجحت بالفعل بتقدير جيد، ثم ألغيت نتيجتها بعد أن بين الدكتور عرجون مابها من انحرافات).
١٥ ـ سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم.
١٦ ـ الأمة الإسلامية، كما يريدها القرآن الكريم.
١٧ ـ سماحة الإسلام (في مجلدين كبيرين).
١٨ ـ محمد رسول الله (في أربعة مجلدات كبيرة).

أما ما لم يطبع بعد، فهو: رسالته لنيل شهادة التخصص بعنوان: (النقد الأدبي عند العرب) وتفسير لسور: التوبة والروم، ولقمان والسجدة ـ وقد جاء هذا التفسير في حلقات تليفزيونية .

بالإضافة إلى العديد من المقالات والبحوث المتناثرة في بطون الصحف والمجلات، التي أشرنا إليها من قبل .

وقد أتيحت للشيخ عرجون، رحمه الله، فرص للتعرف على كثير من أحوال العالم الإسلامي في سفرات رسمية، فقد سافر إلى أندونيسيا عضوا في وفد شرفي برئاسة الأستاذ الأكبر عبدالرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر يومئذ، لزيارتها وتهنئتها بمرور عشرة أعوام على استقلالها، وقد طوَّف هذا الوفد بأنحاء أندونيسيا متعرفا دارسا، ومحاضرا باحثا. واجتمع بكثير من علماء وزعماء هذه الدولة الإسلامية الكبيرة، وقد ألقى بحثا عن (الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان) في (جاكرتا)، ثم عاد مرة أخرى إلى أندونيسيا عضوا في وفد رسمي، يمثل مصر في المؤتمر الأفريقي الآسيوي الإسلامي، وكان هذا الوفد برئاسة الدكتور محمود حب الله، أمين عام مجمع البحوث الإسلامية إذ ذاك، وكان من أعضاء هذا الوفد الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام، الذي ولى مشيخة الأزهر بعد ذلك .

وسافر إلى ليبيا استاذا زائرا، تلبية لدعوة من جامعتها في بني غازي، وألقى في كليات الجامعة عدة محاضرات عن الفقه الإسلامي وسعة أفقه، ومرونة أصوله، وفي الاجتهاد والتقليد، كما ألقى محاضرة في كلية العلوم بطرابلس عن موقف الإسلام من الاختراعات الحديثة، وألقى

محاضرة في البيضا بجامعة السنوسي الإسلامية عن الإمام الغزالي، وتأثره فكريا بالفلسفة.

وزار ليبيا مرة أخرى عضوا في وفد رسمي، يمثل مصر في مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب، الذي نظمته اليونسكو، وكان هذا الوفد برئاسة الاستاذ الدكتور حسين سعيد، وزير التعليم العالي إذ ذاك، وعضوية الدكتور مصطفى طلبة مدير أكاديمية البحث العلمي بعد ذلك، والأستاذ سعد هجرس مدير عام الإصلاح الزراعي. وقد كتب بحثا مطولا عن الأزهر: تاريخه، وحاضره، ومستقبله، وماقدمه للتعليم في العالم الاسلامي عامة، والأمة العربية خاصة، ووزع هذا البحث على أعضاء المؤتمر.

وسافر إلى اليمن في مهمة رسمية، موفدا من الجهات المسئولة للتعرف على ماتحتاج إليه اليمن من معاهد دينية، ومافيها من دراسات يمكن أن تكون نواة لهذه المعاهد، وقد كتب تقريرا ضافيا عن مهمته، واقتراحاته، قدمه إلى الجهات المسئولة. وقد عيّن بعد إحالته إلى التقاعد لبلوغه السن القانونية مديرا لمعهد الدراسات العليا للدعوة الإسلامية في جامعة السودان الإسلامية بمدينة أم درمان، وجعل الدراسة بهذا المعهد أكاديمية، فخرجت طائفة من الدعاة، درسوا الإسلام دراسة عميقة، بجانب دراستهم للعلوم الحديثة، التي لها علاقة بالإسلام، كما جعل من أهداف المعهد تثقيف المرأة المسلمة، وإعطاءها قدرا من الحقائق الإسلامية، وذلك عن طريق المحاضرات والندوات الخاصة بها، والتي تتناول شئون الأسرة والتربية.

ولم يقتصر نشاط هذا المعهد على العاصمة، بل شمل كافة الأقاليم.

كما وضع نظاما للدراسة بالمراسلة، عن طريق تلقِّى الأسئلة المختلفة في الشئون الإسلامية، والرد عليها. بالاضافة إلى طبع كتيبات ورسائل باللغات الأجنبية، وإرسالها للجمعيات والمنظمات الإسلامية وغيرها بالخارج.

وبعد عودة الشيخ عرجون من السودان، عُيِّن أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر بها لمدة عام، زار بعدها الكويت، تلبية لدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، لإلقاء محاضرات وبحوث، في محافلها وندواتها، كما ألقى عدة أحاديث في إذاعتها، المسموعة والمرئية. وعاد بعد ذلك إلى أرض الوطن، ليخلد إلى البحث والتأليف، لما

كان يرجوه في ذلك من الخير والنفع العام العميم .

أسلوبه: قبل أن نتحدث عن أسلوب الشيخ عرجون في كتاباته المختلفة، نُورد قول «ديغو» العلامة المشهور: «إذا سألني سائل عن الأسلوب، قلت إنه هو الذي إذا تحدثت به إلى خمسة آلاف شخص، ممن يختلفون اختلافا عظيما في قدراتهم العقلية ـ باستثناء البُلْه والمجانين ـ فإنهم جميعا يفهمون ما أقول» وقول «موريس هيوليت» في التفرقة بين المقال الأدبي، والمقال الصحفي، إذ يرمز للمقال الأدبي بسارية الربيع «ذلك العمود الذي يتخذه الإنجليز رمزا لعيد الربيع، يزينونه بالزهور البديعة من كل صبغ، والورود الجميلة من كل لون.. فتبدو السارية وكأنها العروس في جلوتها» في حين يرمز للمقال الصحفي بالعمود فقط، أي العمود العاري من جميع صنوف هذه الزينة» .

وكذلك كان الشأن بالنسبة لأسلوب الشيخ عرجون، إذ كان أشبه بسارية الربيع، وفي الوقت نفسه، يجيء سلسلا سائغا مترسلا، يفهمه الجميع على اختلاف ثقافاتهم وتحصيلهم العلمي، وكما يقول الأستاذ عبدالجواد رمضان في وصفه بأنه «أسلوب أدبي فحل، فيه جزالة وفيه فخامة، وفيه تسلسل واطراد». وذلك لأن الشيخ عرجون كان من القلائل الأخيار، الذين استطاعوا السيطرة على اللغة وامتلاك ناصيتها، وتطويعها للتعبير عن الخطرات والومضات، بعفوية واقتدار. » فمن شاء فليقرأ مقاله عن (روح الإسلام والمذاهب الفلسفية) الذي يستهله بقوله:

« بلغ الفكر الإنساني طورا ساميا من أطواره في الكشف عن حقائق الوجود، ولا ندَّعي أنه منتهى شوطه، بل لا يمكن لإنسان أن يزعم أن للنشاط الفكري نهاية، لأن النهاية إنما تكون للمحدود، ومجال الفكر لا يعرف التحديد. وقد كانت هذه الحقيقة ـ قبل الإسلام ـ سببا في النفرة بين الدين والفكر، وأحرى أن يقال: بين المتدينين والمفكرين، لأن الدين نبه على حقائق، وندب القلوب إلى اعتقادها، فاستعصى سبر غورها على العقول، وأبى الفكر الحر أن يقف أمامها ساهما واجما، فمشى إليها في ثقة قوية، ليكشف عنها.. فانتهض المتدينون لذوده عن مقامه، بحجة أن الدين من وحي الله، فهو سر من أسرار الله، ليس للفكر فيه مجال، فنجم حينئذ ذلك الدافع الدامي، في تاريخ الإنسانية. فلما جاء الإسلام، قرر في أولى حقائقه، أنه ـ

إذا كان الدين من وحي الله، فالفكر من فيض الله.. وبهذا وضع الإسلام قاعدة التآخي بين الفكر والدين، فتصالحا في ظله، وأخذا في سبيل هداية الإنسانية، متعاونين على قيادة الوجود، إلى سعادة الخلود.. ومن ثم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأخذون الدين بفطرة نقية، وفكر مهذب، فلم تعوّقهم عقبات الجدل الأجوف، عن العمل الصادق، في نشر الدين في أقطار الأرض». وبمثل هذا التدفق الآسر، يمضي الشيخ عرجون إلى غايته، ليبين للناس أنه: «إذا كانت الفلسفة آية من آيات الفكر الإنساني، فهي من صميم الإسلام، لأن الفلسفة ليست شيئا أكثر من النظر في الموجودات، وتعرف صلتها بالخالق، وإبراز خصائصها. وهذا المعنى هو الحكمة في لسان العرب، والحكمة جعلها الله من أعظم مننه على أخصاء عباده، فقال تعالى: «**يؤتى الحكمة من يشاء ومن يُؤْت الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا**» البقرة/ ٢٦٩ .

ويتبين لنا بوضوح وجلاء، عمق فكره، وسعة اطلاعه على ثقافات العصر، في قوله عن فلاسفة الإسلام وماقدموه للإنسانية جمعاء، من أصالة الرأي، ودقة البحث والنظر، فقد: «عرضوا لأدق النظريات الفلسفية فبحثوها، وأثبتوا لهم فيها رأيا قويا، تكتنفه الحجة الصادقة، ويحوطه البرهان المبين. فابن سينا لم يترك نظرية إلا درسها، وكتب فيها محققا ناقدا، والفارابي لُقِّب لعظمته في البحث بالمعلم الثاني، وابن رشد قالوا عنه إن كتب أرسطو ماكانت لتصل إلى أيدي الناس لولاه، وأبو حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام، سبق (ديكارت) بتقرير نظرية الشك عند البحث، حتى لا يسيطر التقليد على الذهن، فقال في كتاب: (ميزان العمل):

«ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، لكفى بذلك نفعا، فإن من لم يشك، لم ينظر، ومن لم ينظر، لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في العمى والحيرة» .

إلى أن يقول متحسرا: «منذ خمدت الحركة الفلسفية الإسلامية في الأندلس، وانتقلت إلى أوروبا، سارت مترسمة خطواتنا حينا من الدهر، ثم ارتقت فابتكرت مذاهب جديدة، صعدت بها إلى ذروة المجد، وبقينا نحن متخلفين، بل بقينا منكرين ساخطين، فتأخر تفكيرنا، وجمدت قرائحنا، وأصابنا العقم، فما ننتج شيئا فيه ريحنا، وعليه طابع ديننا.. جدَّتْ مذاهب في بعضها هداية ـ نحن أحق بالسبق إليها، وفي بعضها إلحاد وزيغ، نحن أحق بفهمها، لننقدها

ولنزيف باطلها.. وجدَّت مذاهب في الطبيعة استخدمت بها أوروبا مرافق الوجود في السماء والأرض» .

ولا يترك الدكتور عرجون موضوعه، قبل أن يخلص منه إلى مقارنات هامة، تظهر مدى استيعابه وتدبره لآراء ونظريات الغرب، بالمقارنة لما جاء به الذكر الحكيم، فيتساءل قائلا: «من الذي درس من المسلمين مذهب (دارون) في النشوء والارتقاء، وطابق بينه وبين مايقوله القرآن الكريم في أصل الإنسان؟ ومن الذي بحث نظرية الجاذبية التي كشفها (نيوتن) وعرف صلتها بقول الله تعالى: **(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا)** فاطر/٤١ والله جل شأنه لا يمسك السماء والأرض كما يتصور الجاهلون، وإنما يمسكهما بناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع.. ومن الذي درس من علماء الإسلام مذهب استحضار الأرواح، وعرف صدقه من كذبه، وقد ملأ دويه الدنيا، وقلب كثيرا من الحقائق، كما يدين بها الماديون؟ ومن الذي درس مذهب (ديكارت) وعرف فرق مابينه وبين مذهب الغزالي؟ ومن الذي درس نظرية النسبية التي وضعها (أنشتين) وعرف قيمتها؟ بهذا النحو من التفكير، تقدم ابن رشد على الناس: **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** فصلت/٥٣

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن الشيخ عرجون ومكانته العلمية ومساهماته الفكرية وما خلفه للمكتبة الاسلامية من دراسات وبحوث، نرجو الله أن يجزيه عنها خيراً.

احذر هذا

وإن بليت بشخص لاخلاق له
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولاتمار سفيها في محاورة
ولاحليما لكي تنجو من الزلل
ولايغرنك من تبدو بشاشته
إليك مكرا فإن السمّ في العسل

بمناسبة الوحدة اليمنية

«وحدتنا التليدة والمنشودة»

للأستاذ/ عبد الغني أحمد ناجي

رياض الوحدة الكبرى يعانق زهرها الفجرا
فنور الفجر منبثق على آفاقنا طرًّا
سحاب الخلف منقشعٌ ليصفو جوُّنا عطرا
ستسطع شمس وحدتنا تذيب جليد مامرًّا
وتدفيء غرس ألفتنا فنجني الزهر والثمرا
فقد كنَّا ومازلنا يداً قد عاونت أخرى
سلوا التاريخ ينبئكم بأنَّ الوحدة الكبرى
على الأحداث قد عاشت محقِّقةً لنا النصرا

* * * *

فضمُّوا الصَّفَّ واتحدوا فإن الله قد أمرا
بضم الصف مؤتلفاً ليغدو قوَّة كبرى
تشعُّ النور للدنيا وتمنح دائماً خيراً
ألا هبُّوا لوحدتكم تعيدوا المجد مزدهرا
فمجدكمو على التاريخ قد أعلى لكم قدرا
فم التاريخ يسمعنا شهادة مجدكم فخرا
لقد سارت سفينة هذه الدنيا بكم دهرا
فكان الأمن مرساها فغنت باسمكم شكرا
فهبوا اليوم واتحدوا لتجنوا الخير منهمرا
أعيدوا النور للدنيا بهدي يمحق الشَّرَّا
يشيع الحب والودَّا على بشرية حيرى

مـائدة القـارئ

المستفيدون هم المسلمون

يقول الله تعالى مخاطبا نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحددا مهمته :ـ

«فتوكل على الله إنك على الحق المبين . إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون .»

الآيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ من سورة النمل

جاءوا على بكرة أبيهم

هذا مثل من أمثال العرب ، يضرب للجماعة إذا جاءوا كلهم ولم يتخلف منهم أحد ، والبكرة هي : الفتيَّة من الإبل ، أما أصل هذا المثل ومورده ، فيُحكى أنه كان لرجل من العرب عشرة بنين ، فخرجوا إلى الصيد ، فوقعوا في أرض العدو ، فقتلوهم ووضعوا رءوسهم في مخلاة ، وعلقوا المخلاة في رقبة بكْرة كانت لأبي المقتولين ، فجاءت البكْرة بعد هدأة من الليل ، فخرج أبوهم وظن أن الرؤوس بيْض النعام وقال قد اصطادوا نعاما وأرسلوا البيض ، فلما انكشف الأمر قال الناس : جاء بنو فلان على بكرة أبيهم .

مصابيح الدجى

جاء في كتاب «الترغيب والترهيب» تحت رقم «٤٦٠٧» هذا الحديث الشريف، والتعليق عليه، ونصه :ـ

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد فوجد مُعاذاً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اليسير من الرياء شِرك، ومَن عَادى أولياء الله (فقد) بَارَزَ[1] الله بالمحاربة، إن الله يُحبُّ الأبرار الأتقياء، الأخفياء، الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا. قُلوبهم مصابيح الدجى، يخرجون من كل غبراء مُظلمةٍ». رواه ابن ماجة، والحاكم واللفظ له، وقال : صحيحٌ، ولا علة له.

الحياء

الحياء أنواع ثلاثة :ـ

حياء من الله : ويكون بامتثال أوامره، والكف عن زواجره.

وحياء من الناس : ويكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.

وحياء من النفس : ويكون بالعفة وصيانة الخلوات.

دعاء

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون، ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون. عظم الذنب من عبدك. فليحسن العفو من عندك. وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

---

(١) أولياء الله : هم المتقون، وكذلك عرفهم الله تعالى في كتابه الكريم، فقال : (إنْ أولياؤه إلا المتقون) وقال : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .الذين آمنوا وكانوا يتقون) ومن حاربهم بعنوان كونهم أولياء الله فقد حارب الله وبارزه وجاهره بالعداوة، فهو مستحق لأن يقصمه الله، وقد ذكر الرسول صلوات الله عليه من أوصافهم أنهم إن غابوا لم يسأل عنهم أحد لأنهم لايبالون الناس ولايحضرون مجالسهم ومحافلهم، ولكنهم يلزمون شؤون أنفسهم وكسر بيوتهم مكتفين بمناجاة ربهم ومالك أمورهم.



للمهندس محمد عبدالقادر الفقي

هذا نوع جديد من الغـزو، أطلت به علينـا جحافـل الاستعمار الحديث.

غزو لا يحتاج الى استخدام مدافـع أو رشاشـات أو دبابات، ولا يتطلب إنزال قوات عسكرية من البحر أو من الطائرات.

إنـه غزو عفن، بكسر الفـاء، وهـو يتمثـل في إغـراق البيئـات البحريـة والبريـة للمـدن النـاميـة والفقيـرة بالنفايات السامة والخطرة للدول الصنـاعية والغنيـة، وهو أمر يؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل، والقضاء على الإنسان والأحياء إن آجلا أو عاجلا.

وقد بدأت هذه الحرب القذرة، عقب سقوط الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى، وبعد ازدياد الوعي البيئي في الدول الغنية التي تنتج قدرا كبيرا من المصنوعات والمنتجات التي يتخلف عنها كمّ هائل من النفايات السامة. ولما كان التخلص من هذه النفايات أمرا صعبا بسبب المشكلات الفنية والتكاليف المادية العالية اللازمة لذلك، لم تتورع الدول الغنية - التي تتشدق بشعارات حقوق الإنسان والسلام العالمي والرفق بالحيوان - عن أن تهدد حقوق البشر في الدول الفقيرة، وأن تبيح دماءهم، فأخذت تغزو شطآن بلادهم وتغرق أراضيهم بنفاياتها السامة، يساعدها في ذلك بعض الذين تم شراء ذممهم وضمائرهم لقاء دريهمات معدودة، كما يساعدها أيضا غفلة شعوب هذه الدول وأميتهم وانغماسهم إلى آذانهم في مشكلات الديون والفقر والجوع والتخلف والمرض.

ما النفايات الخطرة ؟

تنتج النفايات الخطرة بصورة أساسية عن الصناعات الكيميائية. وتعرف هذه النفايات بأنها (المخلفات التي تسبب أو تسهم - على نحو ملموس - في زيادة حالات الوفيات أو زيادة حالات المرض الخطير التي لا يمكن علاجها، أو زيادة حالات العجز الناشىء عن أمراض قابلة للعلاج، وكذلك النفايات التي تتضمن خطرا عظيما، قائما كان أم محتملا، يهدد صحة الإنسان أو البيئة، إذا ماتم على نحو غير مناسب معالجتها Processing أو تخزينها أو نقلها أو التخلص منها، أو غير ذلك من صور إدارتها).

ويتضح من هذا التعريف أن النفايات الخطرة إما أن تكون سامة بحيث تتسبب في القضاء على الإنسان والأحياء فورا، وإما أن تكون ذات مخاطر صحية وبيئية، بحيث لا تؤدي إلى هلاك من يتعرض لها مباشرة، بل يستغرق الأمر بعض الوقت حتى تبدأ آثارها في التدمير والقتل وإحداث المرض وحالات العجز والإعاقة والتسمم.

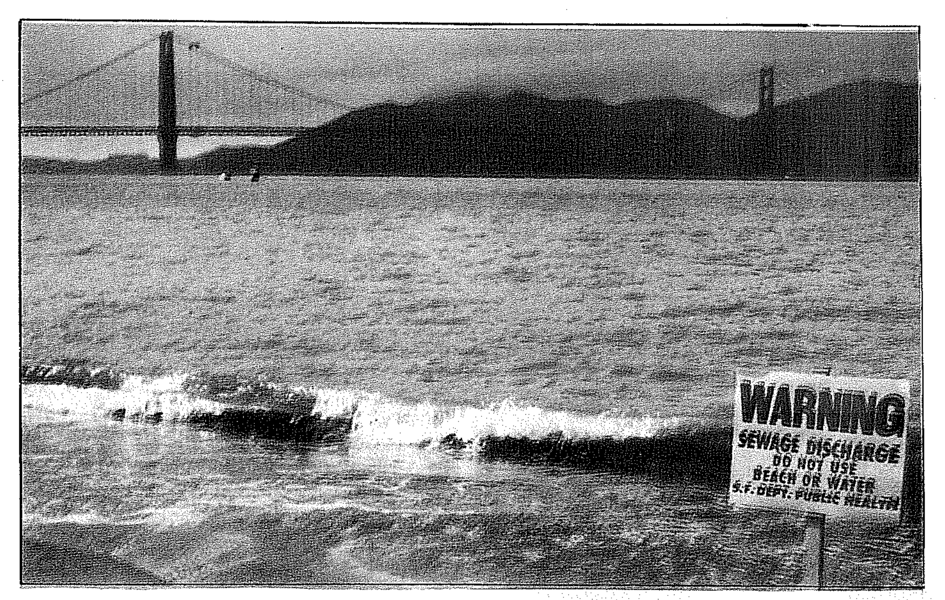


براميل و[...]طوانات مملوءة بالمخلفات النووية [...] أوهايو الأمريكية، تنتظر نقلها إلى مكان آخر، أين؟ الله وحده يعلم!

وتقدر النفايات الكيميائية الخطرة التي ينتجها العالم سنويا بما يتراوح بين٣٠٠و٤٠٠ مليون طن متري

وتقف الدول الصناعية الكبرى في طليعة الدول المنتجة لهذه النفايات، حيث يصل إسهامها في إنتاجها إلى نحو تسعين في المائة. وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى في هذا المضمار.

ويبلغ عدد المواد الكيميائية المستخدمة بصفة اعتيادية حاليا حوالي ٧٥ ألف مادة، وهو عدد يزداد كل سنة بما يقرب من ألف مادة جديدة. وكثير من هذه المواد ذو طابع سام. ومن بين هذا العدد، تصنِّف وكالة حماية البيئة الأمريكية ـ وكذلك منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ـ أكثر من ٣٥٠٠٠ مادة على أنها ضارة بصحة الإنسان وذلك إما بصفة قطعية وإما على وجه الاحتمال. وعدد من هذه المواد ـ مثل الزرنيخ والكادميوم وبعض المركبات الكيميائية العضوية كالطولوين ورابع كلوريد الكربون ـ يعتبر من المواد المسرطنة، أي التي تتسبب في إصابة الإنسان بمرض السرطان. والبعض الآخر ـ مثل الزئبق ـ يصيب المورثات (الجينات) genet ـ المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية في النسل ـ بالضرر البالغ المتمثل في حدوث طفرات وراثية. كما أن الكثير من هذه النفايات السامة يتسبب في الإصابة بأضرار



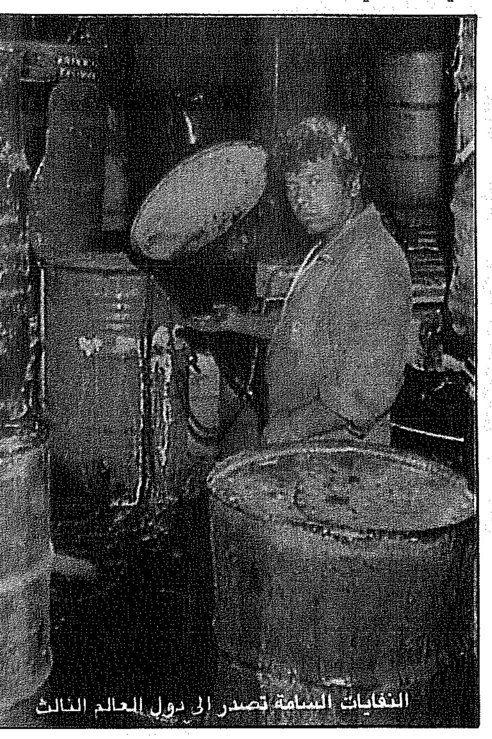
لائحة لتحذير الناس من استخدام الشاطىء أو مياه المحيط في خليج سان فرانسيسكو بسبب تصريف مياه المجاري إلى المحيط. ومع ذلك، تقوم الدول الغنية بتسميم المياه الاقليمية للدول النامية بالنفايات الخطرة دون تحذير.

صحية في الدماغ والعظام (كما هي الحال في نفايات النحاس والرصاص والزئبق) أو في الكلى (كما هو الأمر مع الكادميوم) فضلا عن الإضرار بالجهاز العصبي والإصابة بالعديد من الأمراض الموهنة والمشوهة. وهناك نفايات سامة تؤدي إلى الموت مباشرة إثر التعرض لها. والبعض منها يحدث مشكلات صحية أخرى كالحروق والطفح الجلدي والإصابة بالعنة والعقم وسقوط الأجنة والولادات الميتة والعيوب الخلقية .

وقد أدى التلوث الكيميائي لآبار المياه في مدينة (تون) بولاية (تينسي) الأمريكية ـ بوساطة مركبات الأندرين والديالدرين والألدرين ـ إلى إصابة سكان المدينة بأمراض في الكبد والجهاز الدوري وإلى الشعور بالدوار والغثيان. كما أدى التلوث الكيميائي الناتج عن رشح بعض المواد السامة ـ كالبنزين والكلورفورم وثلاثي كلورو الإيثيلين ـ وتسربه إلى المياه الجوفية التي تستخدم في الشرب إلى حدوث حالات إجهاض وسرطان وبثور جلدية بين سكان قرية (لجلر) إحدى قرى ولاية (نيوجرسي) الأمريكية .

تصدير النفايات الخطرة :

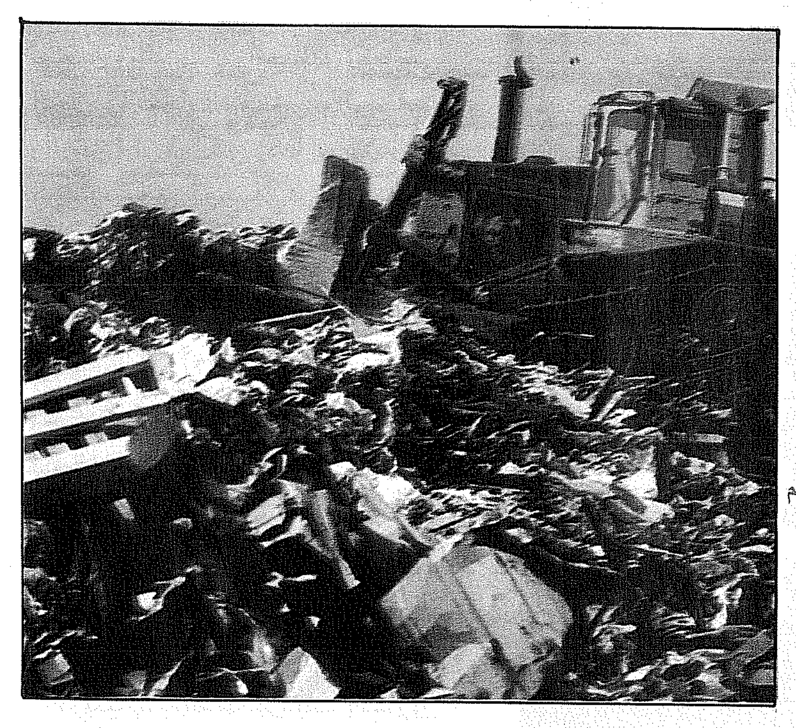
لقد حدثت في السنوات الأخيرة تطورات ملحوظة في أساليب وتقنيات



النفايات السامة تصدر الى دول العالم الثالث

التخلص من النفايات الخطرة، بما في ذلك الحرق لتحويلها إلى رماد، وطمرها في مواقع خاصة على الأرض، وإعادة استعمال بعضها من جديد في الصناعات الكيميائية.

ومع ذلك، فإن معظم هذه الأساليب مكلف وينتج عنه مشكلات بيئية غير محمودة الأثر. فالحرق يتسبب في انطلاق كميات كبيرة من الغازات الملوثة إلى الهواء الجوي. كما أن الطمر في مواقع طرح النفايات يكون مصدراً لتلويث المياه الجوفية بالمواد الكيميائية السامة. وفي الوقت الحاضر، لا يزيد نصيب حرق النفايات الخطرة على ٢٪ من حجم



موقع لتجميع نفايات المدن في بلدة دبتفورد الأمريكية، ويمكن أن تنجم عن هذه النفايات عدة مشاكل بيئية خطرة.

التخلص من النفايات بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك نظرا لارتفاع التكلفة إذا ماقورنت بتكلفة اللجوء الى أساليب الطمر وكذلك بسبب الحرص على سلامة المناطق المجاورة لمنشآت حرق النفايات من مخاطر الملوثات الناتجة ومن أخطاء تشغيل أفران الحرق.

وقد أظهرت دراسة أجرتها الوكالة الأمريكية لحماية البيئة أن مايزيد على ٧٠ في المائة من العدد المقدر للبرك السطحية التي تتلقى النفايات الخطرة في الولايات المتحدة الأمريكية (٨٠,٠٠٠ بركة) ليس مجهزا ببطانة معينة تكسو جدرانها وقاعها. كما أظهرت الدراسة نفسها أن ٩٠ في المائة من هذه البرك قد يشكل مصدرا لتلويث المياه الجوفية. ويتفق معظم أهل الخبرة على أن الحواجز الصلصالية أو الطينية التي تقام لاحتواء النفايات الخطرة كثيرا ماتعجز عن منع تسرب المواد الكيميائية من مواقع طمرها إلى داخل الأرض، وهو أمر يؤدي إلى وصول هذه المواد إلى أحواض المياه الجوفية.

وتقدر الوكالة الأمريكية لحماية البيئة تكاليف القيام بأعمال التنظيف الضرورية لبرك النفايات الخطرة في الولايات المتحدة الأمريكية بما يتراوح بين ٢٣ و١٠٠ مليار دولار.

وتتجاوز تقديرات التكاليف اللازمة لعلاج مشكلات طمر النفايات في

الدانمارك المليار دولار. وفي ألمانيا الاتحادية تتعدى هذه التقديرات عشرة مليارات دولار.

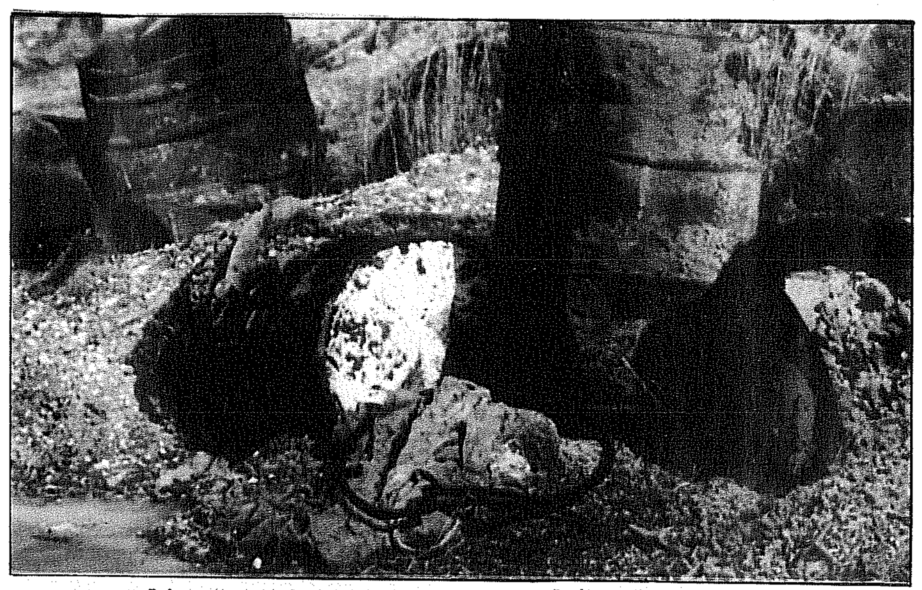
وإزاء كابوس التخلص من النفايات الخطرة، بدأت الدول الصناعية تصدير نفاياتها إلى الدول الفقيرة. ومن ثم تحولت حركة النقل العالمية للنفايات السامة الخطرة إلى تجارة هامة. واجتذبت هذه التجارة عددا كبيرا من الوسطاء والشركات الإجرامية. وتورط كثير من الساسة في هذه التجارة غير المشروعة. ومن الغريب أن الدول الصناعية التي عجزت عن علاج مشكلة نفاياتها السامة ولم تتحمل ميزانياتها الضخمة تكاليف التخلص منها، تناست تماما قدرة الدول الفقيرة على احتواء هذه المشكلة حتى في القرن القادم. وقد استطاعت إحدى الشركات الغربية (سيسكو) أن تحصل على عقد من قبل حكومة دولة (بينين) تقبل بموجبه هذه الدولة خمسة ملايين طن من النفايات سنويا مقابل دولارين ونصف الدولار فقط للطن الواحد، في حين تدفع الشركات الأوروبية التي تنتج النفايات السامة ألف دولار لشركة (سيسكو) لقاء التخلص من الطن الواحد!

وتذكر مجلة (آفاق علمية) في عددها الصادر في سبتمبر ١٩٨٨م أن مؤسسة (ليندا كو) في ديترويت بالولايات المتحدة الأمريكية طلبت من الحكومة الأمريكية إذنا بشحن ستة ملايين طن من النفايات الكيميائية إلى (غينيا بيساو) بمعدل ١٥ ألف طن اسبوعيا، مقابل ٤٠ دولارا للطن الواحد.

وقد كشفت مجموعة (الخضر) المهتمة بحماية البيئة من التلوث عن وثائق تثبت أن مدير البيئة في وزارة الأبحاث في الكونغو كان قد وافق على رمي مليون طن من الزيت والأحماض والمذيبات العضوية Organic Solvents والمخلفات التي تحتوي على الباريوم والزئبق في وديان (ديوسو) ببلاده.



مثل هذه النفايات يمكن إعادة تصنيعها الى منتجات بلاستيكية، لكن قليلة هي الدول التي تفعل ذلك



تعتبر النفايات الكيميائية السامة مصادر خطرة لتلوث المياه الجوفية والسطحية. وتحدث الأضرار عندما تتاكل البراميل كليا وتطرح محتواها من المواد التي تنتقل إلى المياه السطحية، ومن ثم تتسرب الى المياه الجوفية.

كما وصفت صحيفة (الأمة) Nation الكينية كثيرا من الساسة الأفارقة بأنهم (مثال الجشع)، ونعتتهم بأنهم تحولوا إلى (حيوانات من أشرس الأنواع) لتواطئهم مع الشركات الأوروبية في استيراد النفايات السامة بصورة غير مشروعة إلى القارة الأفريقية، نظير رشاوى مغرية قدمها عملاء هذه الشركات إليهم. وكان من المفترض أن تنقل مؤسسة سويسرية مليون طن من النفايات من المانيا الغربية إلى الكونغو ، ولكن الموظفين المتورطين في هذه الصفقة تم اعتقالهم في هذه الدولة.

وأفادت أنباء في (سيراليون) أنه ألقي القبض على زوجة قاض سيراليوني ورجل أعمال لبناني بتهمة استيراد ودفن نفايات سامة قرب العاصمة (فريتاون).

وفي غينيا، اعتقل نائب قنصل السفارة النرويجية لتمثيله شركة أنزلت رمادا من محرقة أمريكية في جزيرة (كاسا) بجوار العاصمة (كوناكري) ونقلت الأخبار المحلية ان الرماد أتلف الأشجار في هذه الجزيرة الخضراء.

وقد وصف الدكتور (مصطفى كمال طلبة) المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة تصدير النفايات عبر الحدود بأنه «عارض جانبي من مخلفات التصنيع في الدول المتقدمة،

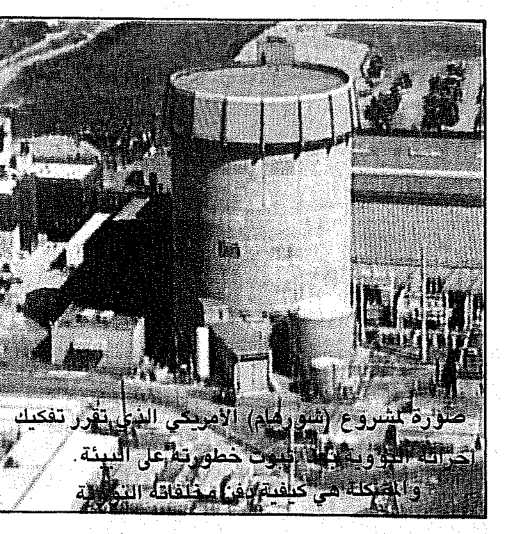
وهو عارض بشع، وغير أخلاقي، وغير قانوني، وغير مرغوب فيه».

وللأسف، فإن الدول التي تتباكى على حقوق الإنسان المهضومة في العالم الثالث، بما في ذلك عالمنا الإسلامي، تعرقل كل مسعى يهدف إلى وقف تصدير النفايات النتنة السامة إلى الدول الفقيرة. ففي اجتماع لوزراء البيئة في الأسرة الاقتصادية الأوروبية في لوكسمبورج، عقد في عام ١٩٨٨م، أوقفت بريطانيا وفرنسا مشروع قرار تقدمت به دول أخرى يدعو الدول الأعضاء في الأسرة إلى الحد من شحن النفايات السامة والخطرة إلى دول العالم الثالث .

كما وقفت الدول الصناعية ضد قرار يتعلق بحظر تصدير النفايات إلى الدول النامية إبان انعقاد مؤتمر المفوضين في مدينة (بازل) بسويسرا في ٣٠ مارس ١٩٨٩. وأقصى ماستطاعت الدول الفقيرة المشاركة في هذا المؤتمر أن تصل إليه هو وضع بند في الاتفاقية التي أسفر عنها المؤتمر المذكور تنص على (الاعتراف بحق كل دولة في منع استيراد النفايات الخطرة. وبموجب ذلك، تلزم الاتفاقية الأطراف الموقعة عليها بعدم شحن النفايات السامة إلى الدولة التي حظرت استيرادها).

غزو دون إنذار :

هناك حالات كثيرة، لم تتورع الشركات الغربية فيها عن رمي النفايات في المياه الاقليمية لبعض الدول دون سابق إنذار، إذ تقوم هذه الشركات بتحميل بواخر وناقلات وسفن بما لديها من نفايات سامة، وترسلها لتصب حمولاتها في جنح الظلام قبالة شواطىء الدول الفقيرة والنامية. وفي بعض الأحيان، تستغل هذه الشركات الحروب الاقليمية لتنفيذ عملياتها التخريبية هذه، كما حدث في بيروت، حين قامت الباخرة (زنوبيا) بإنزال شحنة تزن ٢٤٠٠ طن من النفايات الصناعية السامة على أماكن متباعدة من شاطىء بيروت. وقد حولت الانقسامات اللبنانية الداخلية هذه المأساة إلى جزء



صورة لمشروع (شورهام) الأمريكي الذي تقرر تفكيك أجزائه النووية بعد ثبوت خطورته على البيئة. والمشكلة هي كيفية دفن مخلفاته النووية

من حملة اتهامات موجهة إلى عدد من الزعمـاء المحليـين وقـادة القـوات المتحاربة بالفساد والتواطؤ والتغطية على مستوردي النفايات والتـورط في تسهيل إدخال المواد السامة إلى لبنان مقابل عمولات وبطريقة غير شـرعية، دون اعتبار لصحة المواطنين وسلامة البيئة .

وكانت صحيفة (السفير) البيروتية قـد أشارت في عـددهـا الصـادر في ١٨/٧/١٩٨٨م إلى أن إيطاليا تنتج سنويا ٥٠ مليـون طن من النفايـات السامة، يجـري التخلص من ١٠ في المـائـة منهـا داخـل ايـطاليـا، و٢٠ في المائة خارجها بطرق شرعية، أمـا الباقي فيجري التخلص منه بطرق غير شرعية كالطريقة التي اعتمدت تجاه لبنـان. وأضافت أن شحنـات مماثلة للشحنة التي افتضح أمرها ـ والتي كانت قد ألقت بها السفينة (زنوبيا) ـ كان من المزمع إرسالها إلى لبنان. ولم يتبين للصحيفة ما إذا كانت شحنات أخرى قد أدخلت قبل ذلك أم لا.

وفي عام ١٩٨٨م، ذكرت مصـادر صحفية قبرصيـة أن السلطات هناك أحبطت محاولة لتفريغ عشـرين ألف طن من النفـايات الخـطرة في البحر، كـانت محمولة عـلى ظهـر البـاخـرة (زنـوبيا) لحسـاب شـركـة (جيـلي) الايطالية. وأشارت المصادر نفسها إلى أن ألمانيا الغربية اتفقت مع تركيا على دفن خمسـة آلاف طن من المخلفات الصناعية السامة في القسم الشمالي من جزيرة قبرص الذي تسيطر عليه القوات التركية .

ولعل أسوأ عمليات رمي النفايات السامة هو ماحدث في نيجيريـا. وقد دخلت هذه الدولة في نزاع دبلوماسي مع إيطاليا بعد أن تبين لها أن خمس شحنات من النفايـات على الأقـل قد رمتهـا السفن الايـطاليـة في مينـاء (كوكو) في جنوب البلاد. وقـد اتضح أن هذه النفايات بالغـة السمية، وأن البعض منها يحمل إشعاعا نوويا.

ويحفل التاريـخ المعاصر بـأسماء سفن كثيـرة استـطاعت أن تفـرغ حمـولاتها من النفـايات السـامـة في عـرض البحر، مثـل سفينـة الشحن (بيليكانو) التي أغرقت ٢٠٠٠ طن من الرماد السام قبالة شواطىء (هاييتي) في اكتـوبـر ١٩٨٨م، ومثـل سفينـة (عجمان جلوري) التي قـامت بإلقـاء مجموعة من براميل النفايات الخطرة في مياه الخليج العربي قبالة شواطىء دولة الإمارات العربية المتحدة في عام ١٩٨٩م.

وليسـت فـضيحـة (زنـوبيـا) و(بيليكـانو) و(عجمـان جلوري) غير رمز من الرموز الفاضحة للغزو العفن الذي تشنه الدول الغنية ضد الدول النامية والفقيرة، وهو غزو أشد أثرا ووطأة من الغزو العسكري أو الغزو

الثقافي أو الغزو الاقتصادي، لأنه غزو يسمم الحياة، ويتسبب في تدمير البيئة التي هيأها الله وأعدها لخدمة الإنسان.

رؤية إسلامية لمشكلة الغزو العفن:

تحرم الشريعة الإسلامية القيام بأي فساد أو عمل يؤدي إلى هلاك الحرث والنسل. قال تعالى: **«ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين)** الأعراف/ ٨٥. **«ولا تعثوا في الأرض مفسدين)** الأعراف/ ٧٤. **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** البقرة/ ١٩٥. **(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)** المائدة/ ٣٢.

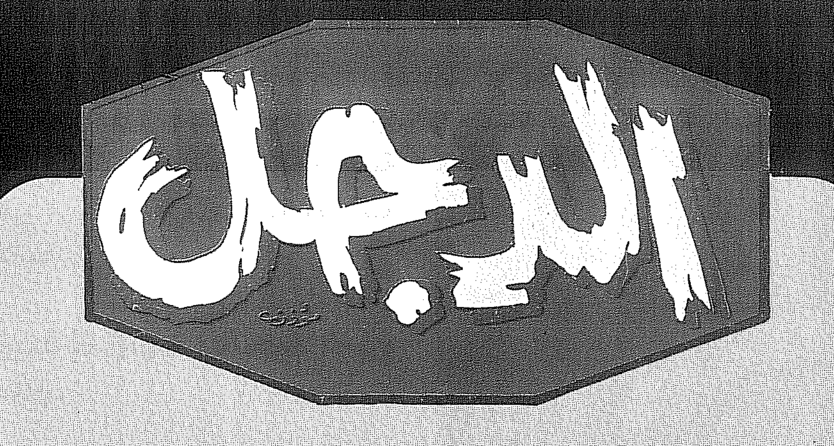
إن إلقاء النفايات السامة في المياه الاقليمية وغير الاقليمية، وإلقاء المخلفات الخطرة في مواقع برية بالدول الفقيرة والنامية عمل لا يتفق مع دين أو قانون أو عقل. وقد حرّم الإسلام قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، ونهى عن إلحاق الضرر بالنفس وبالآخرين (لا ضرر ولا ضرار)، ولذلك فإن الغزو العفن يعتبر صورة من صور القتل الجماعي المحرّم، ونوعا من الضرر الذي يجب العمل على درء حدوثه، إذ إن (درء



مع ازدياد حجم الاستهلاك في الدول الغنية ازداد حجم النفايات بمختلف أنواعها

المفسدة مقدم على جلب المصلحة) كما تقرر القاعدة الفقهية.

إن المحافظة على الحياة مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية. ولذلك، يعد الغزو العفن نموذجا من نماذج الفساد المنهي عنه، ومن ثم فإن مقاومة هذا الغزو والتصدي له ضرورة حتمية للدفاع عن النفس ، وضمان لاستمرار الانسان في أداء دوره في عمارة هذا العالم. والله الهادي الى سواء السبيل.



تجارة الأمل الزائف

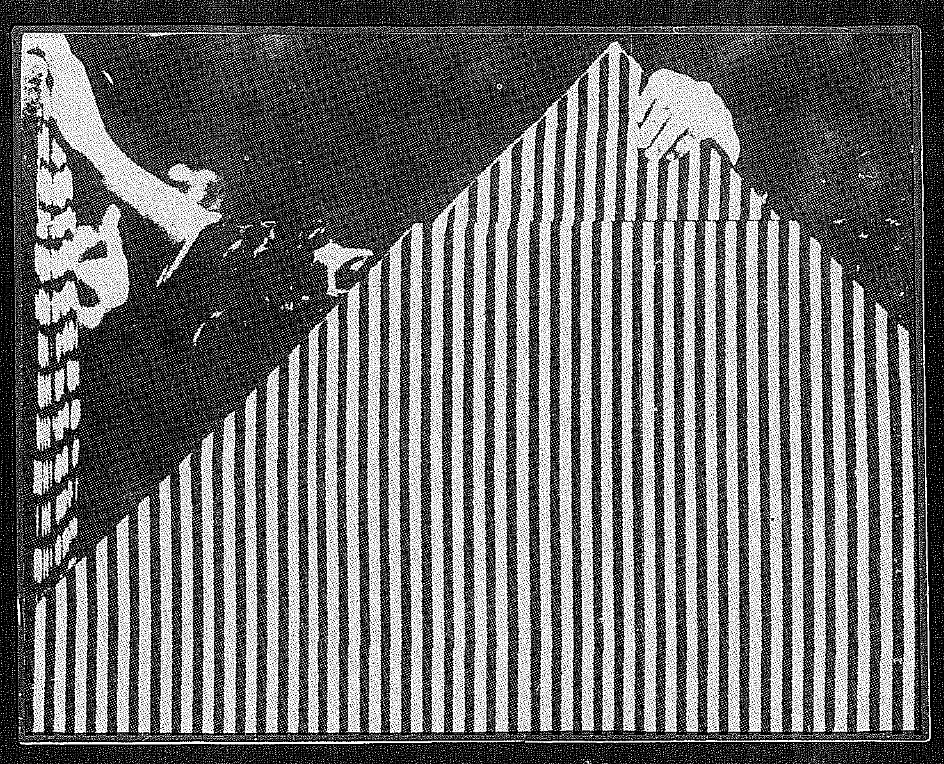
للدكتور/حسن فريد أبو غزالة

الدجل لغة يعني الكذب ويعني ايضا تغطية الشيء حتى لا يراه الناس كما قد يذهب الى معنى طلاء الشيء بماء الذهب ليتوهم الناس ببريقه أنه ثمين.

فالدجال أذن هو صاحب أحد هذه الأمور أو هو من يمارسها ، وعلى هذا فلابد أن تتوفر فيه سوء النية والمقصد والجهل .. وعدم معرفته بالحقيقة أو إخفاؤها ، كما لابد أن يتوفر في الطرف الآخر المتعامل مع الدجال السذاجة والأمل الخادع الذي يسعى إليه .

وإذا كان عالم الإنسان مشحونا بالدجل ويعج بالدجالين في كل زمان ومكان فالطب والطبابة هي موقع مفضل لممارسة الدجل. حيث تضيع القناعة في الأطباء لخطأ وقع من أحدهم أو لقصور في الطبابة عن تلبية مايسعى إليه المريض من شفاء عاجل سريع لمرض قد لا يكون له شفاء أو مرض مستعص طويل المدى .

والدجالون أغلبهم يحتالون باسم



الذين يستغلونه موهمين الناس بقدرات خارقة أجراها الله سبحانه وتعالى على أيديهم واختصهم بها دون غيرهم وهم في هذا المقام لا حاجة بهم إلى تعليل أو تبرير فإرادة الله لا نقاش فيها ولا سؤال ولا جدال فهي فوق كل إرادة .. هذا هو الحق الذي أريد به باطل .. ففي مثل هؤلاء القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تطبب ولم يُعلم عنه طب فهو ضامن» رواه أبوداود .

والحق يقال أن طبيب العصور الخوالي ليس دجالا بمفهوم الدجل فهو كان لا يعلم علم هذا الزمان،لم يكن سيء النية ولا كذابا غير أن معرفته الناقصة ولجوء البعض إلى السحر شجع الدجل ومهد السبيل للدجالين ليتسلقوا على أكتافهم .

والتاريخ حافل بأخبار هؤلاء الدجالين وكل له قصة ورواية وطريقة وربما كان أشهر هؤلاء جميعا وزعيمهم الذي لا يبارى رجلا روسيا يدعونه راسبوتين وهذا ليس اسمه الحقيقي وإنما هو لقبه في اللغة الروسية الذي يعني (الداعر) أما اسمه الحقيقي فهو جريجوري يغيمتش عاش في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي بين عامي ١٨٧٢م /١٩١٢م. لقد كان راهبا أو هو قد ادعى الرهبنة في ريف بلاد



الترياق له قارورة مميزة وتقاليد عريقة

الروس ثم كان ان طلع على الناس بادعاء القدسية والاتصال بالرب الذي أوحى له بأن غفران الرب يكون بممارسة الخطيئة وعلى قدر حجم الخطيئة يكون مقدار غفران الله، وكأنه بهذا يدعو الناس الى الدعارة والانغماس فيها بعد ان يلبسها ثوب مرضاة الرب وغفرانه لهذا فقد استحق لقب الراهب «الداعر» أو الراهب راسبوتين بلغتهم.

كان ذلك في زمن القيصر نقولا الثاني آخر من تولى العرش في عهد القياصر ـ الذين أطاحت بهم الثورة البلشفية عام ١٩١٩م بسبب الفقر والجهل والمرض الذي شاع في زمانهم، فقد سعى راسبوتين هذا الى الدخول الى بلاط القيصر الموبوء بالفضائح.

ووجد في مرض ولي العهد أليكسي الصغير ذي السنوات الثلاث من العمر ثغرة يتسلل منها الى البلاط القيصري فقد كان الصبي يعاني من مرض يسمونه الهيموفيليا وهو يعرف في العربية باسم النزاف او يترجم حرفيا الى محب الدم لأن المريض به ينزف اذا ما جرح دونما توقف فدمه لا يتجلط أبداً،ومايزال ينزف المريض الى ان يموت،ولا حيلة لوقف نزيفه.

لقد عجز اطباء ذلك الزمان عن شفاء مرض ولي العهد الذي أخذ المرض عن أمه القيصرة وهي حفيدة الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى فالمرض تورثه النساء الى ابنائهن

الذكور فقط دون الإناث لأن الأنثى تحمل أسباب المرض دون الذكور الذين لا يورثونه من بعدهم. ثم كان أن توقف النزيف عند أليكسى على يد راسبوتين لسبب أو لآخر، فداخلت القناعة عقل الامبراطورة بمعجزات راسبوتين وقدراته الذي عاث في الأرض فسادا ودعارة بعدها فكان من أسباب قيام الثورة الروسية بعد أن مات الدجال بثمانية شهور فقط.. مات قتلا على يد أمير من الأمراء الروس كان اسمه يوسوبوف الذي امتلأ قلبه حقدا عليه وكراهية له لكثرة ما عاث في الأرض فسادا متسترا بدجله هذا الذي ألبسه ثوب الرهبنة.

هذه قصة الدجال الراهب راسبوتين التي ربما كانت من أشهر قصص الدجل في التاريخ ولكنها ليست الوحيدة على أية حال فشواهد التاريخ تؤكد أن سذاجة الناس وبساطتهم هي التي ترعى الدجل وتشجع قيام الدجالين في كل زمان، وفي هذا كتب أديب طلياني قديم اسمه بيتجريلي في القرون الوسطى قصة عن طبيب نابه حاز درجات عليا من المعرفة والعلم بالطب، ولكنه كان قليل الحظ على مايقولون فعانى ما عانى من شظف العيش بسبب البطالة وعدم إقبال الناس عليه فما كان منه إلا ان سلك درب الدجل يمارسه على الجهلاء من الناس . فوجد ممن حوله إقبالا منقطع النظير وقناعة كبرى مما أثار الحسد والحقد عليه من بقية الأطباء فتآمروا عليه وأوقعوه في يد القضاء متهما بالدجل .

لهذا لم يجد الدجال بداً من الدفاع عن نفسه ليثبت للقضاة أنه بريء يحمل أعلى الشهادات وحائز على أعلى الدرجات فنال البراءة من القضاة، ولكنه في المقابل فقد «الزبائن» الذين انفضوا من حوله وعزفوا عنه فالناس ليسوا بحاجة الى الاطباء.. ولكنهم بحاجة الى دجالين، وعليه يؤكد لنا بيتجريلي أن الناس هم الذين يصنعون الدجالين ويشجعون الدجل بسذاجتهم.

لهذا لا غرابة ان نسمع عن أحدهم أنه يشفي عقم النساء بحليب ماعز خلقت مشبوهة ولا عجب أن تأتينا أخبار إحداهن بأنها لا تملك من العلم شيئا فهي أمية جاهلة تدعي أن بركة الله قد


ميترادوتس السادس مخترع الميترودات (الترياق)

حلت عليها وخصتها بسر شفاء كل الأمراض أو لتشفي منها الناس بحركات ساذجة مسرحية سواء ما استعصى منها وما خف لهذا كانوا يرحلون إلى هؤلاء الدجالين زرافات ووحدانا مؤكدين في سذاجة مفرطة أنهم وجدوا لقضاياهم المرضية حلا فوريا ولم تكن قضاياهم تلك سوى معاناة نفسية فاشتروا الأمل الكاذب من بائع الأمل الدجال .

وعلى ذكر بائعي الأمل ظهر في القارة الأميركية منذ سنوات رجل يبيع البطاطين سماها بطانيات الروماتيزم وما أقسى آلام الروماتيزم عندما تداهم ضحيتها، سائلوا عنها مرضى الروماتيزم فإنهم يحكون عن آلامها عجبا ويشكون مُرّ الشكوى لهذا لا غرابة أن تروج بضاعة الدجل فيبيع منها في يومه الواحد ما ينيف على خمسمائة بطانية حتى أصبح ثريا بعد فقر في مدة وجيزة.

غير أن الناس قد كشفوا سر دجال البطاطين هذا لأنها لم تكن سوى دفايات كهربائية مغلفة بالألحفة ونسيج الصوف لهذا قدموا هذا الرجل للمحاكمة بتهمة الدجل والنصب والاحتيال فقد كان يبيع البطانية الواحدة بأضعاف مضاعفة لثمنها الحقيقي وهو في الواقع لم يكن يبيع دفاية أو بطانية وإنما كان يبيع لهم الأمل.. أمل الشفاء من آلام الروماتيزم.. يبيعه لكل مريض ساذج.

رجل آخر طلع على الناس بصرعة أميركية أخرى تؤكد لهم أنه صنع مناظير تعري الناس فيراهم الناظر عرايا دون ثياب كما ولدتهم أمهاتهم.

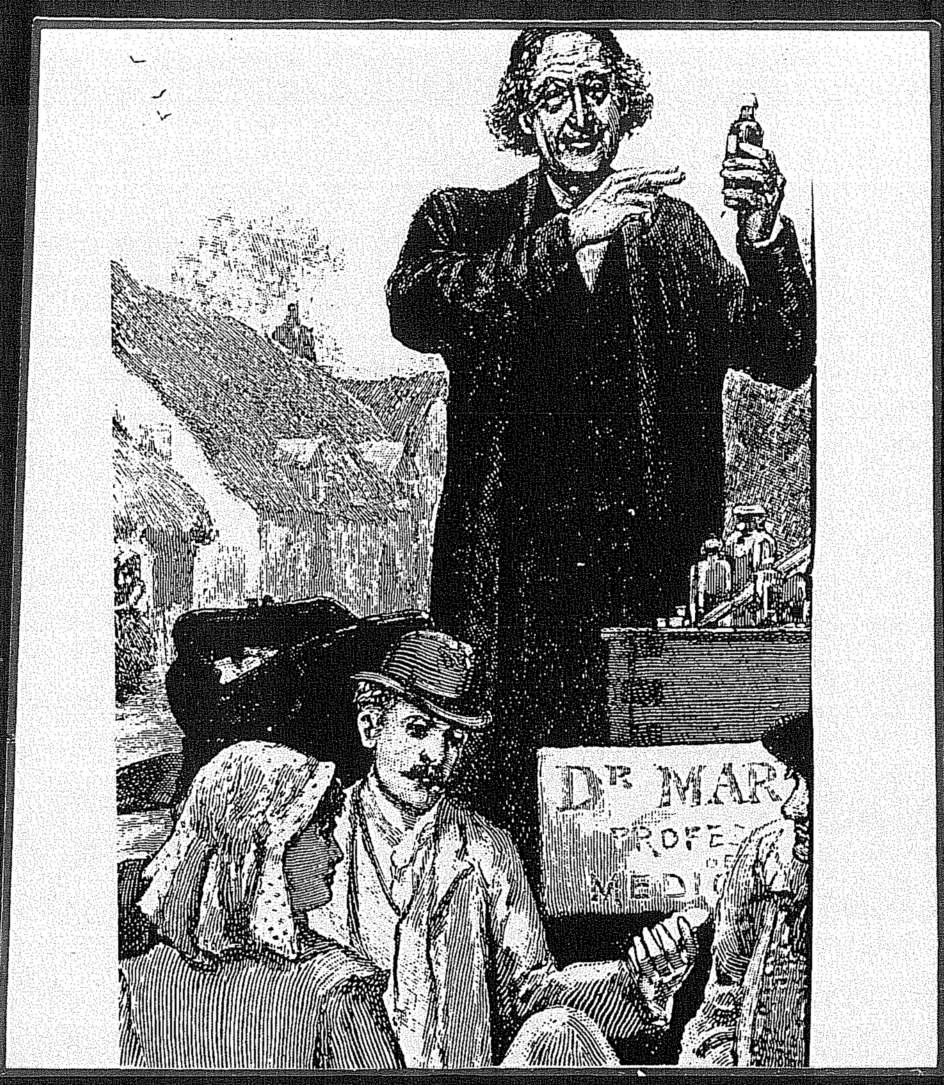
كان هذا يوم ان طلع رونتجن الألماني باختراعه للأشعة السينية التي يعرفها الجميع باسم أشعة إكس فقد ادعى هذا الدجال أن مناظيره تطلق أشعة سينية تخترق الثياب التي تستر البدن.

وكان أن رد عليه دجال آخر في المقابل باختراع أقمشة لاتخترقها أشعة إكس وتحمي لابسها من التعري.

وبهذا أقبل الرجال، على المناظير السحرية فيما أقبلت النساء على الأقمشة الواقية وهكذا تدور نماذج الدجل التي يتشارك في مسؤوليتها البائع والشاري أو الدجال والساذج.

على أية حال فالدجل على الطريقة الأميركية مكلف لا يقدر عليه إلا الأمريكيون الأغنياء ولكن الفقراء من سكان جنوب شرق آسيا يكتفون بالتمائم السحرية لعلاج آلام الروماتيزم.

إنها تمائم يعدها لهم دجال يدعى الطب وإذا مافتحت تميمة من هذه التمائم فلن تجد فيها سوى بعض روث الحيوانات لانها في تقديرهم الساذج تشفي من آلام الروماتيزم



الدجال

وهم بذلك يتشبهون بـالانجليز الذين يوصيهم الدجال بحمل حبة بطاطس خضـراء في جيـوبهم تقيهم عـذاب الروماتيزم.. «وللناس فيما يعشقـون مذاهب».. وهكذا.. على مايقال.. تدور ساقية الدجل الى ما لا نهاية لتروي الأمل الكاذب .

ومما يجدر بالذكر هنا أن نشير إلى نقابة للدجـل الطبي تقوم رسميـا في الفلبين° وقد انتخبوا لها رئيسا يدعى توني اجوباوا ويمارس أعضاؤها نوعا من الدجل الطبي يسمونـه في عرفهم بالعلاج الروحي أو العلاج بالايمـان يدعون أنهم يجرون جراحات لعلاج

كافة الأمراض المستعصية على الطب دون أية حاجة إلى مشارط أو أدوات جـراحيـة ومـا وسيلتهم في هـذا إلا أصابعهم السحرية المجردة فقط فهم يفتحـون البـطون ويشقـون الجلد بأصابعهم ولا غير . والغريب أن يؤكد البعض من السذج أنهم شاهدوا دماء تسيل ولتأكيد هذا في قنـاعة النـاس يبللون قطعة من القطن يغمسونها في أصباغ حمراء ثم يلقون بها فورا في مكان لا تطوله يد خوفا من اكتشاف أمـرهم لأنهم في الحقيقـة يقـومـون بأعمال بهلوانية مثلهم كمثل الحواة ، وقد حدث أن مهندسا أمريكيا أُصيبت زوجتـه يـومـا بسـرطان الثـدي لم يكتشفوه إلا في مراحله المتأخرة التي لا ينفع معها أي علاج .

لهـذا جـرى الرجـل وراء الأمـل الكاذب ورحل الى الفلبين ينشد توني اجوباوا هذا الذي وعد بإجراء فوري لعملية تشفي زوجة المهندس المسكين وقـد كـان.. فمـا كـان منـه إلا أن استخـرج أنسجـة قـال عنهـا انهـا السرطان اللعين ثم القى بها في وعاء قريب مدعيا ان الزوجة قد شفيت وان الأمر قد انتهى وتم انقاذ المرأة (التي ماتت بعد شهور) فما كان من المهندس الأميركي إلا أن دس يده في الوعـاء خفية وأخذ مـا به الى أقـرب مختبر يطلب تحليله ومعرفة نوعـه فإذا بـه قطع من أمعاء قطة ميتة، فما كان من المهندس إلا أن طلب مقاضـاة توني اوجـوباوا في المحكمـة التي أصدرت عليه حكما بالسجن والغرامـة بتهمة الدجل.

على هذا النمط قامت يـوما بـدعة سموها المِسْمـرَية أو بـدعة التنـويم المغناطيسي فيما بعد والتي ابتدعهـا طبيب نمساوي سميت باسمه يدعى فريدريك انطون مِسْمَرَ عاش في فيينا في أواخر القرن الثامن عشر ادعى أنه يمتلك قوة مغناطيسية خارقة يمكن ان يستخدمها في شفاء مرضاه بل ويمكنه أن يودع هذه القوة المغناطيسيـة في الحيوانات والنباتات والحجارة ايضا فاقبل الناس عليه أيما اقبال، بل ومن أطرف مـا يحكى عنه أنـه ادعى انه أودع هـذه القـوة المغنـاطيسيـة في شجـرة فما كـان من النـاس إلا أن ربطوا أنفسهم بجذعها بوساطة حبل حتى يتصلوا بالقدرات المغنـاطيسية الموهومة ولكن الأيام كشفت بعد ذلك زيف هذا الرجل ودجله فانفض الناس من حوله وهرب الى بـاريس ليمارس دجله هناك ولكن الأمر لم يدم طويلا لأن أكاديمية الطب في باريس اتهمته بالدجل والشعوذة معلنة أنه لا يملك من القدرات إلا قدرة الاحتيال فهرب مرة أخرى من باريس ولا يدري أحد إلى أين كانت وجهة هذا الرجل الذي ضاع في ظلمة المجهول واختفى.

غير أن المسمرية لم تمت من بعده ولم تضع معه فقد امتدت الى بلدان في اوروبا وأميركا واكتسبت لها اسما آخر هو اسم التنويم المغناطيسي الذي لم يترعرع منذ ذلك الحين إلا في العقول الضيقة الساذجة ولم ينتشر إلا في حفلات السمر والترفيه وأماكن اللهو.

غير أنه لا يمكن أن نمر بالحديث عن الدجل دون أن نأتي على ذكر العقار الذي يصلح أن يكون عنوانا للدجل عبر التاريخ ذلك هو العقار الذي عرف عبر ثمانية عشر قرنا من الزمان باسم الترياق حتى أصبح علما لكل عقار شاف وصار صفة تتصف بها الأدوية السحرية.

قصة الترياق هذا تعود الى ملك اسمه ميتريداتوس السادس كان ملكا على دولة من دول آسيا الصغرى تسمى مملكة بونتاس القديمة في القرن الأول قبل الميلادي وكان بينها وبين الرومان عداء وكانت بينهما حروب.

كان هذا الملك القوي الذكي يوجس خيفة من غدر أصحابه قبل أعدائه من الرومان لهذا تفتق ذهنه عن تركيب عقار يقيه الغدر يحوي مزيجا من السموم المعروفة في زمانه وعددها ٥٤ سماً يتناول منه جرعات صغيرة في كل يوم حتى يعتاد جسمه هذه



تمثال خزفي للدجال
من العصور الوسطى

السموم ويتحصّن ضدها فسمي عقار ميثردات المضاد للسموم.

الغريب أن شعبه قد ثار عليه بقيادة ابنه ولي العهد ثارتاكوس مما اضطره الى ان ينتحر بيده فيأمر خادمه بطعنه بالسيف لأن السموم لا تفيد معه فهو محصن ضدها فما كان من الرومان في عهد امبراطورهم المخبول نيرون إلا أن تلقفوا وصفة الملك ميتريداتس السادس بعد موته فأضاف لها طبيب القيصر المسمى اندرو ماخوس من عنده مواد أخرى مثل لحوم الثعابين ومسحوق العقارب ومحلول الحشرات السامة حتى وصل تعداد محتويات العقار إلى ٦٣ سماً وسماه الترياق أو التريـاكا بلغتهم نسبة إلى قصية ألفها شاعر قديم يُدعى نيكاندر تتحدث عن الحيوانات السامة كان اسمها التريـاكا .

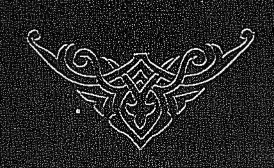
شاع أمر هذا العقار وانتشر وآمن الناس به واحتل فكر الأطباء في ذلك الزمان وصار محور علاجاتهم ودستورا يسيرون على هديه .

ومع الزمان صارت له أصول وقواعد في تركيبه وتعاطيه واشتهرت به أكثر ما اشتهرت مدينة البندقية حتى أنه سمى في ذلك الزمان بسكر البندقية، كان يوضع في قوارير خاصة لها شكل خاص مميز على جانبيها مقابض ثعبانية الشكل.

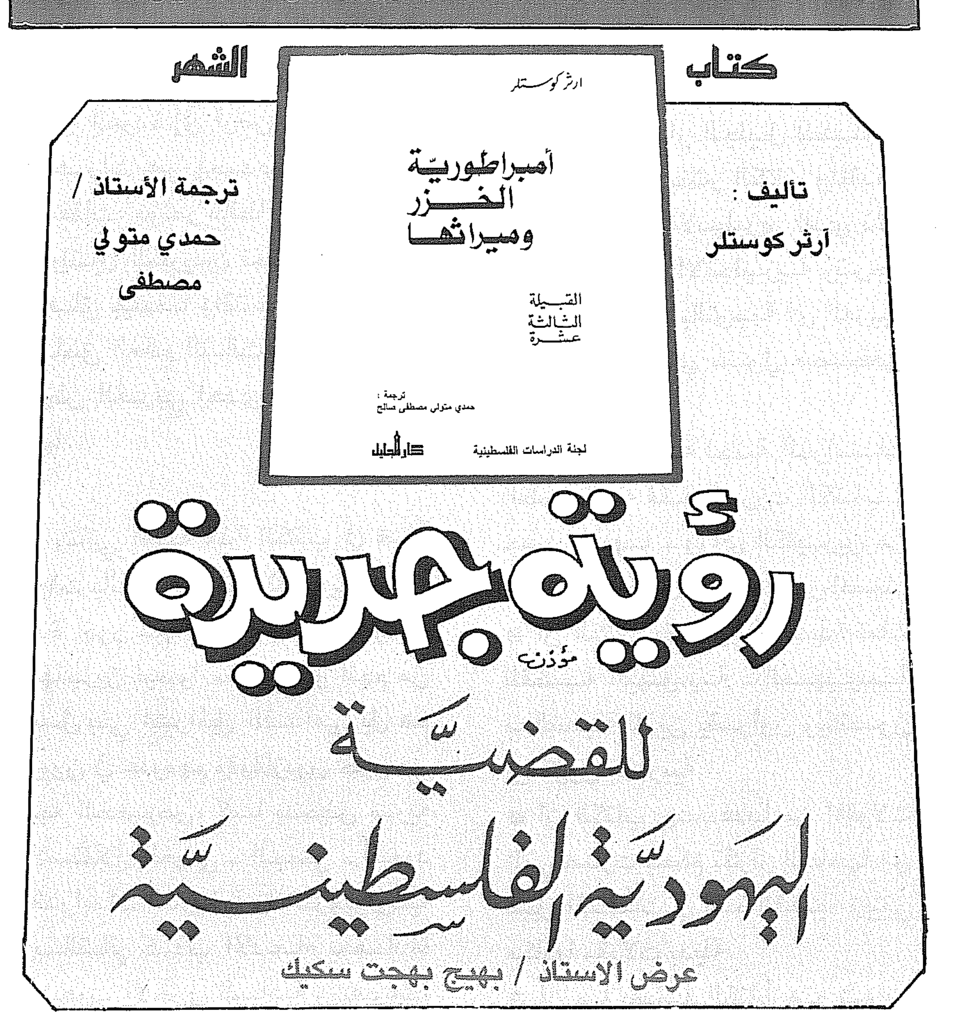
وصار أهم ما احتوى عليه هذا العقار الذي سمي باسم الثيرياكا ـ وقد عربناه نحن في لغتنا العربية الى اسم الترياق ـ مخدر الأفيون الذي يسكن كل ألم.

لهذا أقبل عليه الناس أيما اقبال عبر كل الأزمنة والأمكنة الى ان بدأت عقول الناس تتفتح مع إطلالة أنوار العلم الحديث في القرن الثاني عشر فكان أن شطب الانجليز عقار الترياق في عام ١٧٨٨م من دستور أدويتهم لعدم قناعتهم به ثم لحق بهم الفرنسيون بعد حين حيث صدر قرار بإلغائه جاء فيه «بعد أن احتل الترياق مكانا كبيرا وطويلا في عالم العقاقير والأدوية فقد آن له أن يرحل من عالم التاريخ إلى عالم الأساطير» .

لقد صار حال الترياق الذي كان يؤمن به الناس على أنه العقار السحري لكل مرض إلى قول أحدهم فيه إنه قمامة الدكاكين.



بمناسبة هجرة اليهود السوفييت الى فلسطين



هجمة شرسة على فلسطين.. يقوم بها العالم كله بقيادة الكبار... اغتصاب جديد.. بمنهج جديد.. هل هي حضارة القرن العشرين؟! وما أصل الحكاية؟ وهل لها من نهاية؟.. وماذا تعرف أخي القارىء عن مغتصبي أرضك.. ومدنسي عرضك، وقاتلي أطفالك؟ عن هؤلاء يتكلم هذا الكتاب يعرفنا بطائفة منهم وقد لا توافق المؤلف أو بالتأكيدلن توافقه في بعض ما ذهب إليه، عندما سيطرت عليه صهيونيته البيغضة على كلٍ الكتاب يحتوي معلومات عن عدونا لابد لنا من الاطلاع عليها.

تقديم

تتدفق على فلسطين هذه الأيام موجات متوالية من اليهود السوفيت بحجة العودة إلى أرض الوطن، هذه الهجرات هي إحدى نتائج ـ وصفقات.[1] مؤتمر مالطا الذي عقد بين الدولتين الكبريين تحقيقاً لسياسة الوفاق بينهما واقتسام النفوذ في مناطق العالم الثالث، والذي يشكل الوطن العربي إحدى بؤر الصراع فيها..

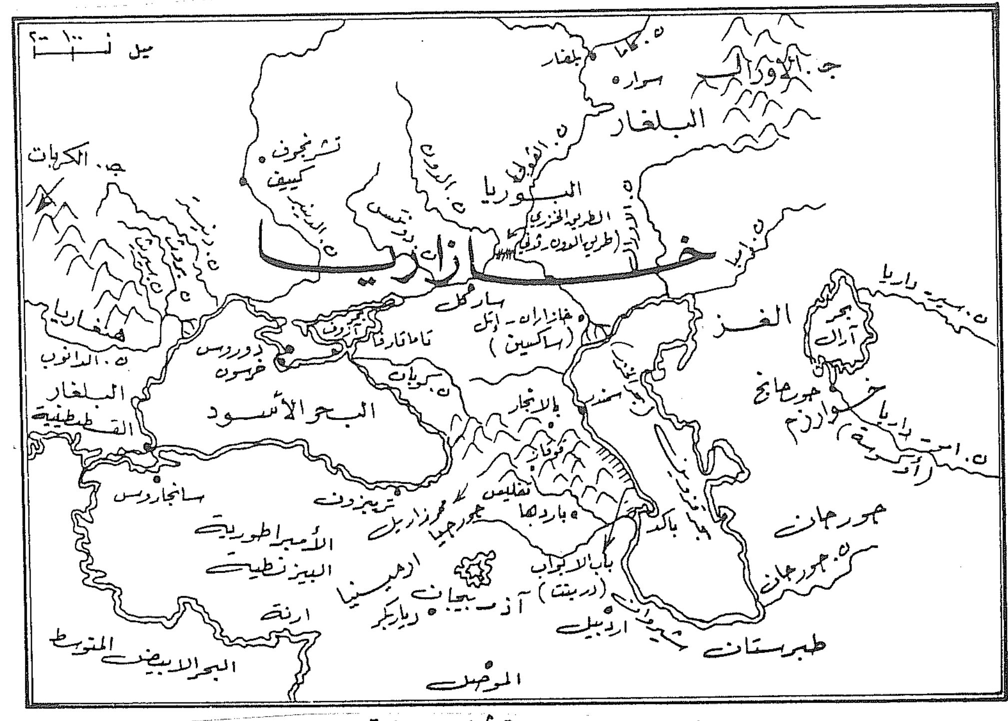
وتأتي أهمية هذا الكتاب في هذا الوقت بالذات من أنه يثبت ويؤكد على عدة أمور منها: أن اليهود السوفيت المهاجرين ليسوا ساميين أو انهم من نسل بني اسرائيل القدامى بل هم آريون في عمومهم وقوقازيون خزر على وجه الخصوص، كما يدحض مزية الاستقلال العرقي ـ الجنسي ـ لليهود بالدراسات التاريخية والانثروبولوجية وبالتالي كذب الادعاء بمعاداة الشعوب الأخرى للسامية وزيف هذا الشعار الذي ابتزوا به الشعوب التي عاشوا بينها طيلة عهود طويلة ـ كما يلقي الكتاب الضوء على الدور الذي لعبه يهود الخزر كدولة حاجزة بين الروم والمسلمين ـ وهو نفس الدور الذي تلعبه اسرائيل اليوم.

مقدمتا الكتاب :

للكتاب مقدمتان : الأولى أصدرتها لجنة الدراسات الفلسطينية التي اشتركت مع دار الجليل للطباعة والنشر بدمشق بنشر الكتاب والمقدمة الثانية للناشر الانجليزي الذي نشر الكتاب باللغة الانجليزية وترجم الكتاب عنه، قام بالترجمة الى العربية الأستاذ/ حمدي متولي مصطفى صالح.

أما مقدمة لجنة الدراسات الفلسطينية فقد أبرزت الكتاب ـ حسب رأيها ـ ورأي الكثيرين من العرب والمسلمين في عدة أمور أهمها:

* أن الكتاب يقدم رؤية جديدة تماما للقضية اليهودية ـ الصهيونية بالنسبة للذين يقرأون ويكتبون ويفكرون بالعربية.
* أن الكتاب يهدم عددا من المقولات التي صارت بحكم تكرار إلحاحها من قبيل المسلَّمات في هذه القضية ويبني مكانها مقولات بديلة.
* ان ما يقدمه الكتاب هو شهادة إثبات لنا ـ لا علينا ـ في موقفنا من عدالة قضيتنا.
* ان هذه الشهادة تأتي من شاهد عيان فالمؤلف ـ كوستلر ـ مجري هنغاري وقد كانت المجر طرفاً أصيلاً في التاريخ الخزري كله..
* ان الكتاب لا يكتفي بالاستدلال



خريطة (١) امبراطورية الخزر (ق ٧ - ١١ م)

التاريخي فقط بل يستعين بمعطيات العلوم البحتة المتصلة بعلوم الانثروبولوجيا والاجتماع والوراثة والاحصاء .

* ان الكتاب يستعين بمصادر كثيرة متنوعة منها العربية والبيزنطية والخزرية نفسها ويقدم دراسة دقيقة في تتبعه لهجرات شعوب أوروبا ويهودها من منتصف القرن السابع الميلادي وحتى منتصف القرن العشرين .

* يوضح الكتاب الوسائل التي اتبعها يهود الخزر لتحقيق اهدافهم الاستراتيجية في زرع القبائل المجرية التابعة لهم في مواقع جديدة.

* يبين الكتاب ـ كيف أن اليهودي يظل يهودياً ـ حتى قبل اعلان الصهيونية كمنظمة عالمية تستقطب اليهود اينما كانوا.

كما تناولت مقدمة لجنة الدراسات نبذة عن المؤلف ـ كوستلر ـ وحياته وفكره، ومؤلفاته، كما اشارت إلى الهوامش والتعريفات التي أضافتها إلى الترجمة.

أما مقدمة الناشر الإنجليزي فتناولت تعريفاً بالخزر كشعب من

أصل تركي، ومبررات، تهودهم ليقفوا في وجه القوتين العظميين في ذلك الوقت - الامبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة من جهة.
- والمؤمنين بمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذين انعقد لهم النصر - من جهة أخرى ليصبحوا القوة الثالثة في عصرهم.

يقع الكتاب في ٢٨٧ صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على ثمانية ابواب استحوذت على ٢٥٠ صفحة من صفحاته، ثم الخلاصة وأربعة ملاحق: الأول ملاحظة عن الهجاء.. واختلافه حسب المصادر والأشخاص مما أدى الى الخلط بين كلمة وأخرى في مواقف متعددة، والملحق الثاني عن مصادر الكتاب القديمة: العربية والبيزنطية والروسية والمصادر الحديثة،والملحق الثالث عن المراسلات الخزرية بين ملوكهم وبقية دول ويهود العالم،والملحق الرابع تحت عنوان : بعض المعاني الضمنية حول علاقة إسرائيل بيهود الشتات.

النهوض : -

النهوض عنوان الباب الأول الذي شغل سبعين صفحة من صفحات الكتاب قسمت إلى أربعة عشر قسماً.. تناول فيها المؤلف أسباب تهود اتراك الخزر وملكهم ووصف الحياة

ووصف للحياة
اليومية ليهود الخزر وحدود دولتهم وامتدادها الجغرافي وصفاتهم الجسمية، وقد اعتمد المؤلف على مصادر عربية لكتاب مسلمين امثال ابن سعيد المغربي وابن فضلان والمسعودي والاصطخري، كما تناول الاساطير التي صاحبت سيرتهم، وعلاقتهم بالملكة التركية الغربية، ثم عرض المؤلف لمحاولات المسلمين الوصول إلى معاقل الخزر انتهاء بالحملة الغربية الأخيرة التي قادها - مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية فيما بعد ويعلق المؤلف على ذلك فيقول: «أنقذ الخزر التخوم الشرقية للفولجا والدانوب والامبراطورية الشرقية نفسها من الفتح الاسلامي، وانه لولا له مسارا مخالفا» ص٣٨ بتصرف، ويعقب المترجم في الهامش فيقول «ألا نرى أن دور إسرائيل اليوم امتداد لدور اخزر بالأمس: تعويق للعرب وتبديد لطاقاتهم..»!!

لقد قدم ابن فضلان وصفاً دقيقاً لحياتهم ومعيشتهم اليومية وعاداتهم ووصفاً لعاصمتهم بشقيها «خازاران» «وإيل» اللتين تتصلان ببعضهما بواسطة جسر عائم، كما أسهب في تقديم صورة عن احتفالات تنصيب الملك وما يصاحبها من طقوس غريبة.

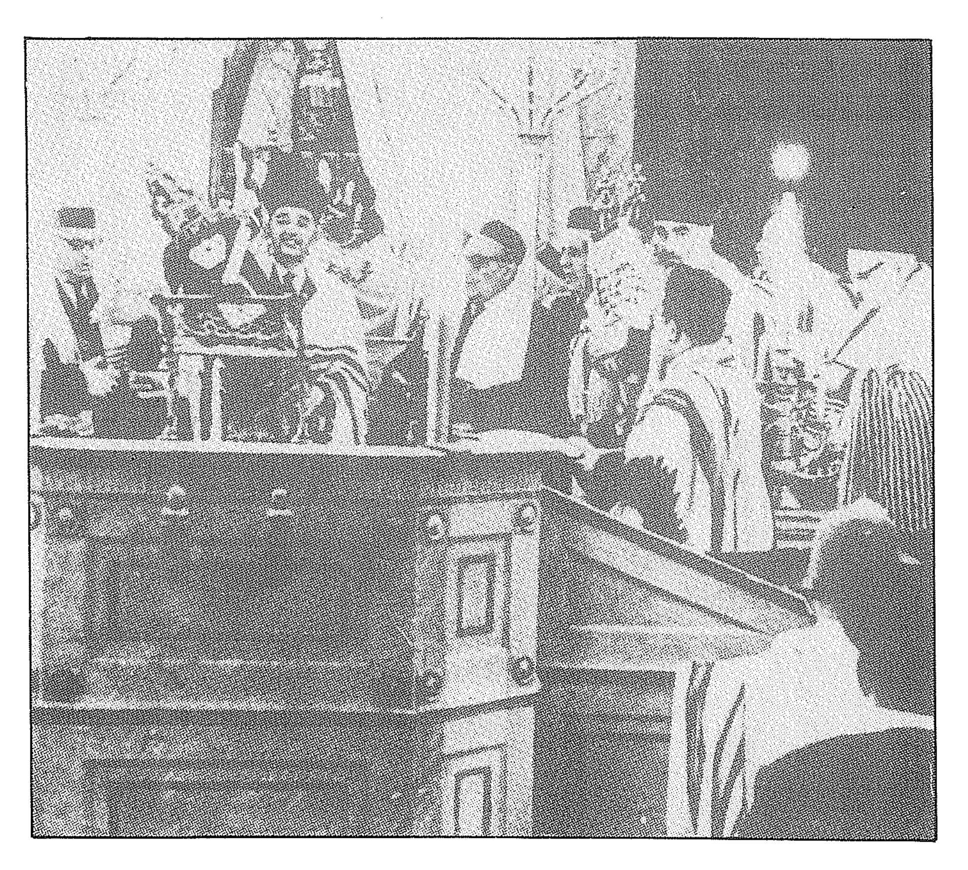
التهود :

يرى المؤلف في بداية الباب الثاني «أن العالم كان مستقطباً بين القوتين العظميين المثلتين المسيحية والإسلام» وكانت امبراطورية الخزر تمثل قوة ثالثة اثبتت انها ند لكل منهما سواء باعتبارهما خصماً أو حليفاً، وكان حاكم الخزر متأثراً بدوافع سياسية حينما اعتنق اليهودية: لأن اعتناق الإسلام سيجعل منه تابعاً للخلافة العباسية واعتناق المسيحية سيجعل منع تابعاً للكنيسة والامبراطورية الرومانية، ويعود المؤلف فيذكر أسباباً أخرى لتهود الخزر منها الاضطهاد الديني الذي مارسته الكنيسة على اليهود في عهد جستنيان الأول (٥٤٧م ـ ٥٦٥م) وفي عهد هرقل في القرن السابع الميلادي وفي عهد رومانوس.. وغيرهم مما أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود من بيزنطة إلى خازاريا.

ويقتبس المؤلف فقرة من المؤرخ المسلم المسعودي فيقول: «ويعيش في هذه المدينة ـ خازان ـ ايل ـ المسلمون والمسيحيون واليهود والوثنيون. أما اليهود فيضمون الملك وحاشيته والخزر الذين على شاكلته وكان ملك الخزر قد صار لتوه يهودياً في خلافة هارون الرشيد وانضم إليه اليهود من كافة امصار الاسلام ومن دولة اليونان وبيزنطة. ويشير المؤلف إلى أن هؤلاء المهاجرين جلبوا معهم فنوناً وصناعات وأساليب ممتازة للزراعة والتجارة كما جلبوا الأبجدية العبرية القديمة، وفي مكان آخر تناول المؤلف مراسلات حسداي بن شبروط الوزير اليهودي في عهد عبدالرحمن الثالث في قرطبة مع ملك الخزر يوسف ـ وكيف ان اليهودي يظل يهودياً ـ وكيف كان يتوق إلى زيارة مملكة اليهود.. ودوره في تحييد دولة الخلافة في قرطبة تجاه دولة خازاريا وكل من عاداها.» وفي إحدى مراسلات يوسف إلى حسداي يعترف له بأن يهود الخزر هم من نسل «يافث» الابن الثالث لنوح الجد الأعلى لكل القبائل التركية وليس من سلالة سام.

الانحطاط :

في بداية الفصل الثالث سجل المؤلف حقيقة مهمة وهي «أن الخزر ليسوا مدينين بحسن طالعهم إلى عقيدتهم اليهودية بل الأحرى القول بعكس ذلك: لقد استطاعوا ان يصبحوا يهوداً لأنهم كانوا أقوياء اقتصادياً وعسكرياً... ثم يتناول قتال الخزر مع العرب ومع الروس والفايكنج والنرويجيين، والتحالف المجري ـ الخزري اليهودي وهجرات



المجربين نهري الدون والدينيبر وخروجهم من مناطق الأستبس الشرقية، استعراض دقيق قام به المؤلف وصف فيه علاقة الخزر مع كل الشعوب السابقة، وكذلك تناول اعتناق العائلة المالكة الروسية عقيدة الكنيسة الارثوذوكسية اليونانية بشكل نهائي سنة ٩٨٨م وكيف تحول الهنغار والبولنديون والاسكندنافيون والايسلنديون إلى الكنيسة، ثم سقوط «خرسون» ميناء الخزر الهام بيد الروس في وصف دقيق للمعركة ص ١٣٠ وما بعدها ـ دون احتجاج من البيزنطيين حلفاء الخزر السابقين مما مهد لزوال دولتهم .

وقد اقتبس المؤلف عن المؤرخ السوفيتي «أرماتوف» الذي نشر عام ١٩٣٧م كتابه الأول «تاريخ الخزر القديم» فقرة خاصة تقول:

«تحللت مملكة الخزر وتهاوت إلى أجزاء تداخلت أغلبيتها في الشعوب الأخرى المتصلة بها، أما الاقلية التي استقرت في إيل فقد فقدت قوميتها، وتحولت الى طبقة طفيلية ذات صبغة يهودية» ص١١٦ .

السقوط :

في بداية الباب الرابع افرد الكاتب قسماً كبيراً للفترة الزمنية من عام ٨٦٢م وهي تاريخ الاحتلال الروسي لكييث الى ٩٦٥م وهو تاريخ تدمير إيل عاصمة خازاريا على يد سفياتوسلاف، والتوسع الروسي شرقاً هذه المرة ـ وفقدان الخزر سلطانهم في الغرب، وحرب الروس مع المسلمين سنة ٩١٣م في طبرستان وبحر قزوين ودور يهود الخزر فيها حيث كانوا شريكا فعالاً للروس مع تظاهرهم بالسلام مع الخلافة في بغداد، وكان للوجود الاسلامي داخل دولة الخزر أثره في منع تقدم الروس نحو بحر قزوين.

لقد فقد يهود الخزر امبراطوريتهم بعد أن هزمهم الروس عام ٩٦٥م لكنهم احتفظوا باستقلالهم داخل حدود أضيق من ذي قبل، كما احتفظوا بعقيدتهم الدينية طوال القرن الثالث عشر، كما كان لتنصر فلاديمير ملك الروس سنة ٩٨٨م والغزو البيزنطي الروسي لخازاريا سنة ١٠١٦م اثره في التعجيل بزوال مملكتهم.وآخر إشارة إلى الخزر كدولة سجلها الراهب الفرنسيسكاني ـ جونس دي بلانو كاربين ـ حين ارسله البابا انوسنت الرابع إلى المغول للتفاهم معهم ولاستطلاع قوتهم». ومن الشعوب التي زارها الآلان والشركس والخزر الذين يتمسكون بالدين اليهودي». لقد ظل تجار جنوة والبندقية يشيرون الى القرم باسم «خازاريا» حتى وقت متأخر من القرن السادس عشر الميلادي ولم يكن ذلك الا مجرد رمز جغرافي يعيد ذكرى دولة بائدة.. وكان الغزو المغولي الذي قاده جنيكز خان هو المرحلة الأخيرة من سقوط دولة الخزر، وأصبحت بلاد الخزر نفسها مركزاً لامبراطورية جنكيز خان نفسه.

الخروج :

كان الطريق الرئيسي لخروج اليهود الخزر من مملكتهم يقودهم الى الغرب... وإلى هنغاريا بالذات، إلا بعض السكان تخلفوا في القرم والقوقاز بصفة خاصة واكتسبوا اسماء خاصة بهم مثل يهود الجبل في شمال شرقي القوقاز، اتخذت هجرات اليهود إلى شرق أوروبا ومن ثم إلى غربها شكلاً متدرجاً أحياناً وفراراً مفاجئاً مذعوراً أحياناً أخرى ،ويسجل المؤلف أهم الهجرات اليهودية الخزرية إلى شرق أوروبا كالتالي: هجرة الخزر والمجر إلى هنغاريا في القرن التاسع الميلادي.

فرارهم من المغول في القرن الثالث عشر.



فـرارهم من الطاعـون في القـرن الرابع عشر.

هـجرتهم من بولندا الى لتوانيـا في القرن الرابع عشر.

فـرارهم من مذابـح القـوزاق في القـرن السابـع عشر، ومن ليتوانيـا وبولندا الى روسيا بسبب التقسيم في القرن الثامن عشر، الهجرة الكثيفة من بولندا إلى الغرب من القرن السـابع عشر حتى القرن العشرين.

تتبع المؤلف ـ في صبر وروية ـ هذه الهجرات الى كل دولة من دول أوروبا الشـرقية الحـديثة ودورهـا الفاعـل اقتصادياً واجتمـاعياً في المجتمعـات الجديدة ـ ودور ـ الشتتل ـ المعابـد الخشبية اليهودية في بولندا في الحياة اليومية هنـاك. وقد رجـع المؤلف الى احصائيات «الموسوعة اليهودية» التي قدرت أن جملة يهود العالم في القـرن السـادس عشر تقارب المليـون نسمة فقط.

من أيـــن : ـ

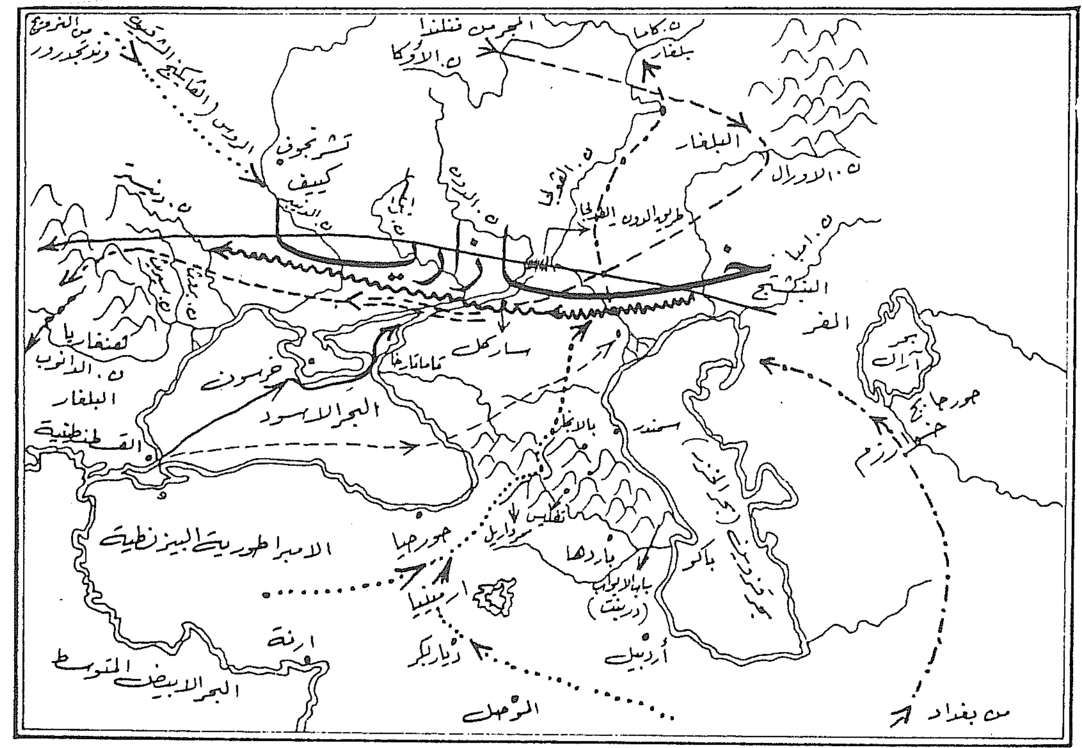
يهتـم المـؤلف في هـذا البـاب ـ السادس بهجرة اليهـود الأصلاء في الغـرب... ولعله يقصـد بـالأصـلاء اليهود الذين هم من أصل غير خزري تركي...!! وذلك في الفترة ما بين تدمير اورشليم وسـقـوط الامبـراطوريـة

الرومانية ويستبعد المؤلف يهود اسبانيا الذين شكلوا طائفة لها خصائصها المتميزة، فهو يكتب عن يهود فرنسا، ألمانيا، ثم النموذج الانجليزي حين أصبحت كلمتا يهودي وتاجر تستعملان كمصطلحين مترادفين، ويشير الكتاب إلى المذابح التي تعرض لها اليهود في هذه البلاد وخصوصاً في فترة الحروب الصليبية، والشعارات التي رفعت ضد اليهود في كل مكان من فرنسا وانجلترا «لتكون فرنسا نظيفة من اليهود».

تيارات متعارضة :

يسجل المؤلف في الباب السابع الآراء المتعارضة التي ناقشت اصول وانتماء اليهود إلى بلاد الخزر.. ويخلص المؤلف الى ان سلسلة المستوطنات التي امتدت من بافاريا ـ جنوب ألمانيا والنمسا ـ إلى فارس والقوقاز وآسيا الصغرى وبيزنطة، بل التجمعات اليهودية في منطقة الألب اليوغسلافية المسماة «جودندورف» «جودمنشتاد» قد جاءت أصلاً من بلاد الخزر.

ويقوم المؤلف بدراسة لغة اليهود (اليدية) وهي اللهجة العامية لكثير منهم ويؤكد «انها خليط عجيب من العبرية وألمانية القرون الوسطى ومكونات سلافية» وان «هذه اللغة لم تكن قائمة قبل القرن الخامس عشر الميلادي وانها بقيت لفترة طويلة لغة حديث» ولم تظهر مطبوعة إلا في القرن التاسع عشر الميلادي. كان اليهود الذين يستقرون في وطن جديد يميلون عامة الى هجر لغتهم ويكتسبون لغة وطنهم الجديد.. حتى اليهود من أبناء القبائل المذكورة في الكتاب المقدس والذين يفترض فيهم انهم من نسل ابراهيم كانوا يتكلمون العبرية في الأسر البابلي ثم الكلدانية في زمن المسيح والآرامية في الاسكندرية على عهد اليونان والعربية في اسبانيا والتي تحولت بعدها إلى لغة اللادينو Ladino وهي خليط من الاسبانية والعربية وفي الجزء السادس من هذا الباب يستند المؤلف إلى حجج المؤرخين المحدثين سواء منهم النمساويون أو الاسرائيليون أو البولنديون من أن الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني، وإنما من أصل قوقازي ومن الدلائل المتراكمة لدى المؤلف ـ كما كتب ـ نجده ميالاً إلى الأخذ بالاحصاء الموثوق الذي قدمه المؤرخون البولنديون والدال على أن الغالبية العظمى من اليهود في العصور السابقة كان أصلها من بلاد الخزر.



خريطة (٢) اهم هجرات الشعوب المتصلة بالخزر وطرق تجارتها (ق ٧ - ١١ م)

الجنس والاسطورة :

عنوان الباب الأخير ولعله أهمها جميعاً لأنه اعتمد على الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها العديد من العلماء على اليهود بقسميهم: السفارديم الشرقيين والذين يفترض انهم من أصل سامي والاشكناز وهم اليهود الغربيون الذين هم من أصل تركي خزري.

اعتمدت الابحاث الانثروبولوجية على دراسة الصفات الجسمانية ـ طول القامة ولون البشرة ولون العيون وشكل الأنف ـ الخصائص الجسدية: أبعاد الجمجمة، والحوض، وعظام الساق، وفصائل الدم.

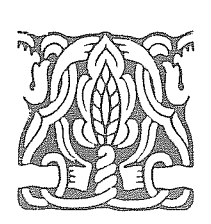
واقتبس المؤلف عن عدد من علماء الانثروبولوجيا بعض الآراء عن النقاء العرقي ـ لليهود وتوصل إلى نتائج هامة منها ما اقتبسه عن رفائيل باتيه في دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٧٣م) تنفي اكتشافات الانثروبولوجيا الطبيعية وجود جنس يهودي ـ خلافاً للفكرة الشائعة ـ فالمقاييس الانثروبومترية للجماعات اليهودية في أجزاء كثيرة من العالم تدل على أنهم يختلفون عن بعضهم

اختلافاً كبيراً من حيث الخصائص الجسدية المهمة «بل ان مقارنة نسب أبعاد الجمجمة لدى اليهود تظهر تماثلاً بين اليهود وغيرهم من الشعوب المضيفة لهم أكثر مما تظهره من تماثل بين اليهود الذين يعيشون في اقطار مختلفة» وفي دراسة فصائل الدم ليهود ألمان، رومانيين، بولنديين، مغاربة، عراقيين وتركستانيين... ومواطنين من نفس البلدان دعمت بالاحصاءات اظهرت فروقاً كبيرة فيما بين اليهود أنفسهم وتماثلاً ملحوظاً بينهم وبين مواطنيهم غير اليهود.

ومما يدعم اسطورة نقاء الجنس اليهودي دخول أجناس شديدة الاختلاف في الدين اليهودي مثل فلاشا الحبشة - السود البشرة، ويهود كاي فنج Kai Feng الصينيين الذين يشبهون مواطنيهم واليهود اليمنيين ببشرتهم الزيتونية.

وفي خلاصة الكتاب يؤكد المؤلف على الحقائق الاساسية التي استند إليها حيث اعتمد على الأدلة التاريخية التي تثبت أن الأغلبية العظمى من اليهود الشرقيين - يهود روسيا وأوروبا الشرقية ويهود العالم هم من أصل تركي خزري وليس من أصل سامي.. مع اتفاق الأدلة الانثروبولوجية...

وفي الملحق الرابع والأخير من الكتاب اتضحت صهيونية المؤلف حين كتب: «واليهود الذين يسكنون إسرائيل يملكون - بصرف النظر عن أصولهم المختلفة - المقومات الأساسية للدولة - وطناً خاصاً بهم ولغة مشتركة، وحكومة وجيشاً... وليس لدى يهود الشتات أي من مقومات الدولة هذه».. ولكن الذي يعزلهم كصنف خاص عن غير اليهود الذين يعيشون بينهم.. هو دينهم المعلن - سواء كانوا يمارسونه أم لا، وهنا يقوم الفرق الجذري بين مواطني اسرائيل ويهود الشتات.





في جلسة مع بعض الإخوة دار فيها حديث حول الأوضاع المتردية التي وصلت إليها الأمة، وبعد أن أدلى كل منهم بدلوه في الموضوع قال أحدهم: ما الحل؟ أليس لهذا الليل من آخر؟

قلت : أو تريد الحل؟

قال : نعم

قلت : الحل قريب قريب، وبعيد بعيد.

قال آخر : ما هذا ؟ أحجية أم لغز؟

قلت : لا أحجية ولا لغز.

قال : إذاً كيف يكون قريباً وبعيداً في آن واحد؟!

قلت : هو قريب لأنه في متناول أيدينا، وبعيد طالما بقينا عازفين عنه.

قال : هو في متناول اليد ونعزف عنه، مع حاجتنا الماسة إليه؟!

قلت : نعم

قال : كيف ؟ ولماذا؟

قلت : لأننا جهلنا حقيقته.

قال : وما هو بالله عليك؟

قلت : الحب.

قال مستغرباً : أي حب تعني هداك الله؟

قلت : للحب معنى أسمى وأعظم مما يفهمه الجاهلون إذ يقصرونه على الجنس ينحرف به، ويشوهه.

- وما هو هذا المعنى؟

- لقد اقترب منه أفلاطون إذ عبَّر عنه بأنه قوة توطيد العلاقات بين المخلوقات.

- ومن أين لنا بهذه القوة؟

بل كيف تزعم أنها في متناول أيدينا؟!

ـ نستمدها من الخالق العظيم جل شأنه.

ـ وكيف يكون ذلك؟

ـ بحبه سبحانه وتعالى.

ـ ولكنك قلت بأن الحب هو توطيد العلاقات، فإذا كنا لا نملك قوة توطيد العلاقات مع المخلوقات فمن أين لنا بقوة توطيدها مع الخالق العظيم؟!

ـ ان توطيد العلاقة مع الخالق العظيم أسهل وأيسر بكثير من توطيدها مع المخلوقات. ذلك لأن العلاقة مع الخالق العظيم يحكمها التفضّل منه سبحانه وتعالى، بينما العلاقة مع المخلوقات يحكمها التفضّل منها، أو على الأقل تحكمها المعاملة بالمثل. وشتان ما بين تفضّل الخالق العظيم، المنعم الكريم، وتفضّل المخلوق الهلوع، المنوع الجزوع.

ـ أرجو أن تشرح لي إذا سمحت.

ـ الخالق العظيم يعطي ولا يأخذ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ في علاقته مع المخلوقات دائن دائماً، والمخلوقات هي المدينة له جل شأنه . أما المخلوق فيأخذ، وإذا اعطى، فإنما يعطي بمقابل.

ـ زدني إيضاحاً.

ـ الخالق ـ جل شأنه ـ أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة بفضل منه سبحانه وتعالى، وهو لا يريد منا إلا الاعتراف بذلك وشكره ـ عز وجل ـ على نعمائه. فإذا نحن شكرناه ـ سبحانه ـ زادنا من فضله وكرمه.

أليس هو القائل ـ عز من قائل ـ «**لئن شكرتم لأزيدنكم** ..» ابراهيم/ ٧.

ـ وكيف قلت إن الله لا يأخذ، وهو ـ جل شأنه ـ يقول:...**هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ..» التوبة/ ١٠٤ ويقول سبحانه: «**فأمليت للكافرين ثم أخذتهم** » الرعد/ ٣٢ ويقول أيضا: «**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**..» التوبة/ ١١١ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لله ما أعطى ولله ما أخذ** ..»؟!

ـ **أولاً** : إن معنى الأخذ هنا مغاير للمعنى الأول.

ثانياً : إن الله حين يأخذ شيئا، لا يأخذه لنفسه، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ غني عن العالمين، والكل له. فإذا أخذ شيئاً مما أعطى للمؤمن فذلك لمصلحة هذا الأخير لأنه ينميه له أضعافاً مضاعفة بدليل قوله عز وجل: «**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** »البقرة/ ٢٦١.

أو يعوضه عنه بما هو خير منه وأبقى. ففي سورة الكهف عندما أنكر سيدنا موسى عليه السلام على العبد

الصالح قتل الغلام قال: «**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً**» الكهف/ ٨٠و٨١ وحين اشترى - سبحانه وتعالى - من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، إنما اشترى أشياء يملكها - أليس هو خالق هذه الأنفس وممولها؟ فلو كان بحاجة إليها - وحاشاه أن يكون كذلك - لما كان مضطراً لأن يشتريها مادام مالكها أصلا. ولكنه - جلّت عظمته - بعد أن تفضل عليها فوجدها أدت واجب الشكر أراد أن يزيدها من فضله وكرمه فيعطيها بدلا مما يفنى ما هو خير لها وأبقى.

هذا بالنسبة للمؤمن. أما الكافر فمن أسباب أخذ الله - سبحانه وتعالى - له إيذاؤه للمخلوقات الأخرى التي هي أولى بالرعاية منه، مثلما فعل العبد الصالح عليه السلام حين قتل الغلام رحمة بأبويه المؤمنين، وخشية عليهما من أن يرهقهما طغيانا وكفرا،إن وجود الكافر نشاز في نغم الانسجام العظيم بين المخلوقات جميعا، لأن جميع المخلوقات تسبّح بحمد الله. قال تعالى: «**وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم..**» الإسراء/ ٤٤.

أما الكافر فهو جاحد، لا يسبح بحمد الله، أو مشرك يعبد من دون الله آلهة أخرى، وبذلك لا يكون منسجماً حتى مع نفسه لأن كل عضو من أعضائه يسبح الله سواء شاء هو أم أبى، وسواء أحب هو أم كره، بل إن أعضاءه تظهر عداءها له يوم القيامة وبراءتها منه، فتشهد عليه بما اقترف بها من آثام. قال تعالى في سورة النور: «**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**» النور/ ٢٤.

لذلك فإذا أراد الله أن يرحم المخلوقات من شغب الظالم وأذاه تفضل عليها بتخليصها منه فأخذه.

- آمنا بأن الله يعطي، وإذا أخذ - جل جلاله - فإنما يأخذ لحكمة فيها مصلحة الخلق. وسلّمنا بأن توطيد العلاقة معه - سبحانه وتعالى - أسهل وأيسر من توطيدها مع المخلوقات. وهذا منطقي لاجدال فيه.

- وأين الجدال إذاً؟

- الجدال في أننا - بالرغم من ذلك - لانجد هذه العلاقة متوطدة في الواقع. فلماذا؟ ما دامت أسهل، وأيسر، وأجدى؟

- ذلك لأننا غافلون عن هذه الحقيقة، لا أقول كلنا، بل أكثرنا، وغفلة أكثرنا هذه جعلتنا معرضين عن الله سبحانه، وهو جل شأنه يقول: «**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً..**» طه/ ١٢٤.

وهذا أصل البلاء، وسبب المشاكل

التي نطلب لها الحل .

لقد ظلم أكثرنا ـ بإعراضهم عن ذكر الله ـ أنفسهم، فاجتاحتنا الفتن، لأن الله عز وجل يقول: «..**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة...**» الأنفال/ ٢٥.

وياليتها فتنة واحدة، رجعنا بعدها إلى الله عملاً بقوله عز وجل: «**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** » السجدة/ ٢١.

ولكننا ـ مع الاسف ـ لم نرجع، ولم ننتبه من غفلتنا حين أصابتنا الفتنة، فاستمر الإعراض عن ذكر الله، واستمر معه تتابع الفتن، حتى صارت كما قال رسول الله صلى الله عليه: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه أحمد .

ـ وهل أصبح الأمر مستحيلاً، أو ميؤوساً منه؟

ـ أبداً. فما هو بمستحيل، ولا ميؤوس منه، بل هو سهل ميسر إذا أردناه مخلصين. إنه لايحتاج منا إلا إلى الإقبال بصدق على الله، والإعراض بحق وحزم عما سواه، ولايكون ذلك إلا بالحب الصادق الذي لايكون له به مكان في قلوبنا لغير الله، وصدق الله العظيم القائل: «**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ..**» الأحزاب/ ٤.

ولا مجال للمقارنة بين حبنا للخالق العظيم، وحبنا لمخلوق مثلنا، لأن المخلوق قد يطمع في المحب فيستغله، أو يتمنع عنه فيضله أو يتحكم فيه فيذله, ونادراً ما يقابله حبا بحب فيعامله بالمثل أو بأقل منه.

أما الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فإنه يحيط من يحبه بحب أكبر وأعظم من حبه، مما يجعله بفضله منعماً، وبقربه منه عزيزا مكرّما. ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» رواه مسلم،ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى: «.. **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » السجدة/ ١٧.

أليس هو القائل ـ جل شأنه ـ في الحديث القدسي: «انا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وان ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأهم خير منهم، وان تقرب مني شبراً، تقربت إليه ذراعا، وان تقرب إليّ ذراعا، تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه مسلم.

أليس هو القائل ـ سبحانه ـ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء احب إليّ مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب

إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بـه، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ..» رواه البخاري أليس في الحديث: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» رواه البخاري.

وهكذا يكون للعبد من توطيد ! علاقته بالخالق العظيم قوة يوطد بها علاقته بالمخلوقات؟

ـ كيف ؟

ـ إن حبه لله سيجعله مطيعاً له، وسيظهر هذا في تصرفاته مع الناس. فلا يعتدي على أحد لأن الله لا يحب المعتدين، ولا يظلم أحداً لأن الله لا يحب الظالمين. ولا يسعى في الأرض فسادا لأن الله لا يحب المفسدين، ولا يسرف أو يبذر لأن الله لا يحب المسرفين، ولا يخون لأن الله لا يحب الخائنين، ولا يستكبر لأن الله لا يحب المستكبرين.

كما أن حرصه على حب الله له يجعله يحسن لأن الله يحب المحسنين، ويتوب ويتطهر لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفي بعهده ويتقي لأن الله يحب المتقين، ويعفو ويصفح لأن الله يحب العافين والمحسنين، ويصبر على البلاء والأذى لأن الله يحب الصابرين.

ولا شك ان من كان هذا خلقه سيحبه الناس.

لذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا المعنى بقوله في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ولا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا ادلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشو السلام بينكم». رواه مسلم.

ولا ريب في أن إفشاء السلام لا يقتصر على التحية، وإنما يتعدى ذلك إلى كل ما سبق ذكره من عدم الاعتداء، وعدم الظلم، وعدم الإفساد، وعدم الاستكبار، وعدم الخيانة، بالإضافة إلى الإحسان والوفاء بالعهد، والتقوى، والعفو، والصفح، والصبر ... إلى آخر ما هنالك من التصرفات التي يتحلى بها المؤمنون الصادقون فإذا تم ذلك تحقق السلام.

قال الحاضرون : نسأل الله أن يحقق ذلك.

قلت : فلنبدأ بأنفسنا، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

قالوا : إن شاء الله.

قلت : إن شاء الله.

حول أستار الكعبة

للأستاذ / محمود شاور ربيع

أقبلت للبيت «العتيق» ملبيا
وأكاد من وله لدىَّ أطير

آلاف آلافٍ ، كثير عددهم
والفرح في كل الوجوه ينير

موج من البشر المحب تدفقوا
وكأنهم للناظرين بحور

«والكعبة الغراء» تعلو فوقهم
تحنو عليهم، والإله غفور

وسمعت أصواتا تجلجل في الفضا
والكل من حول الستور يدور

و «الأسعد المحبوب» يرنو نحوهم
والكل يرنو نحوه ويشير

والناس تفنى في دعاء خالص
وأنا أسير، ولا أكاد أسير

سبع من الأشواط طالت وانقضت
ثم «الطواف» وللجموع هدير

فوق «الصفا» شاهدت أنوار الصفا
فمضيت أسعى والحشود كثير

ورأيت «مروة» فوقها أحبابها
وعلى الجميع تألق وسرور

وتعددت «أبواب خير» حولنا
«باب النبي» بنوره مغمور

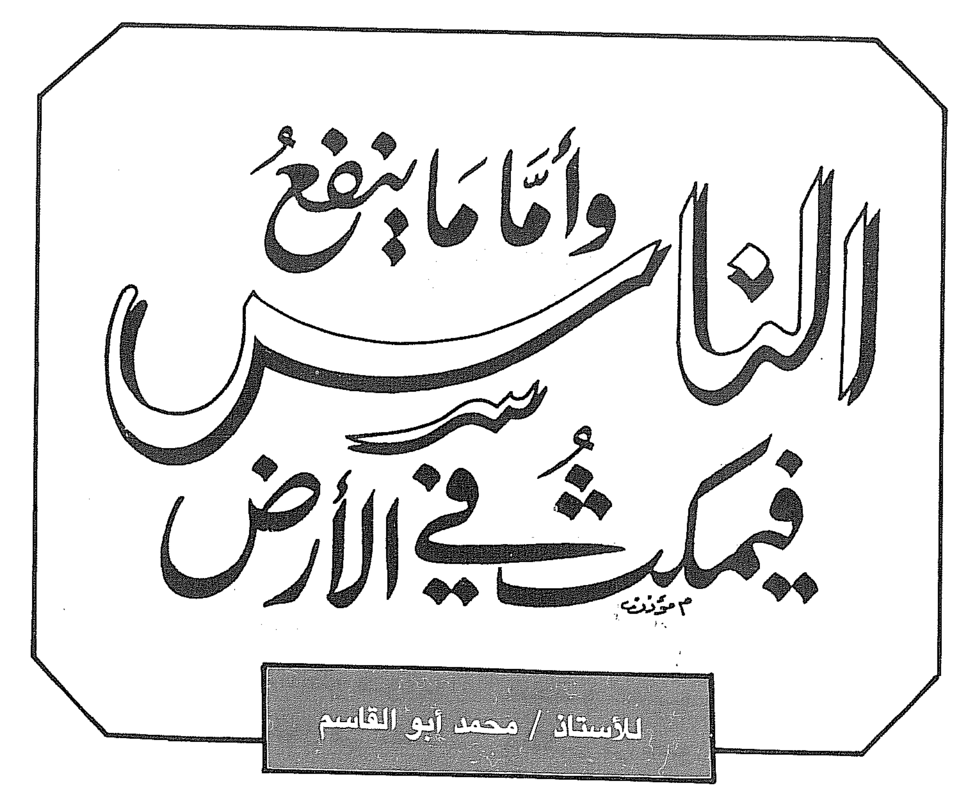
«وعلي» و«العباس» حولي أشرقا
ولدى «الحجون» من الزمان عصور

وكذاك «شيبة» قد تألق نوره
وعلى الصخور صحائف وسطور

وأتيت «زمزم» ارتوى بنميرها
ماء الحياة محبب وطهور

وأخذت أدعو ضارعاً متبتلا
والدمع من فوق الخدود غزير

فاضت من القلب السعيد مشاعر
والشعر نبض صادق وشعور



وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

للأستاذ / محمد أبو القاسم

ذهب الزبد جفاء، وبقي ما ينفع الناس، سقطت الأقنعة، وتبين وجه الزيف، واتضح أن غير طريق الله مسار التيه، ودرب الضياع، قرن من الزمن تنطلي الحيلة، يمررها ركام المطبوعات معلنة أفيونية الدين، وممجدة إيديولوجية الشياع، فينكشف الغطاء، وينفلت المارد محطما أسوار سجنه، معلنا أن الشيوعية وهم، واشتراكيتها سراب، والرضى بها بهتان، يفنده الرفض، وتدحضه الثورة العارمة على طاغوتها .

هناك في المعسكر الشرقي يُعلن عن إفلاس الأيديولوجية. كما أعلن الزمن من قبل عن إفلاسها في الغرب، فاستوت الطائفتان ، واستوى ما شرعوا لأنفسهم مما لم يأذن به الله، الذي خلق السماوات والأرض وقدر فيها أقواتها، الذي جعل الانسان شديد الحب للخير، حتى إذا مسّه الشر فيئوس قنوط، لأجل ذلك أوصاه أن يبتغي فيما آتاه الدار

الآخرة وألا ينسى نصيبه من الدنيا شريطة أن يحسن كما أحسن الله إليه. فحب الخير فطرة فطر الله الناس عليها، ولن تجد لسنة الله تبديلا، فهل يستطيع أحد أن يغير خلق الله ، وأن يجرد الانسان من دوافعه فيمنعه لذة التملك ، ويحد من طموحه ليجعله لولبا في آلة ، يدور في غير هدف، ويعمل من غير انتفاع ، أو يسمح له بامتلاك ما لغيره، واستغلال هذا الغير، والتقتير عليه باحتكار اقواته، أو امتصاص دمه بألوان الربا والرشوة.

كلا الطرفين مفرط في إجحافه، بعيد عن الحق، زائغ عن الصواب، وبدهي أن يكون كذلك. لأن كلا النظامين من صنع البشر ومن خلق الإنسان، بينما الوسطية هي شرعة الله التي شرع لعباده، هي من خلق الله ، ولن يتساوى الذي خلق بالذين من دونه كلا النظامين لا يحقق للانسان انسانيته، ولا يضمن له سعادته في الدنيا ولا في الآخرة، اقتصادهما مبني على نظريات محدودة الرؤية، قاصرة المعرفة، لم تؤت من العلم إلا قليلا، نظريات ترتبط بالنفعية المنبثقة عن أهداف شخصية، وأحكام ظرفية تختلف باختلاف الزمان والمكان والمسار الأيديولوجي، لا تنظر للانسان كوحدة، ولا للانسانية كإطار يشمل كل عباد الله، بل تنحصر في الحدود الضيقة التي لا تتعدى مشمول التبعية الفكرية ويمكننا أن نقف من خلال المؤسسات والقيم المسيطرة عليها، على نوعية المشاكل التي تعاني منها وانعدام الترابط بين الانتاج والتوزيع، والجهد والعوض، والكلفة والثمن .

وبعد :

فلم يعد مهما التعرض لمواصفات الشيوعية لأنها أعلنت افلاسها، ولا للرأسمالية لانها لازالت تعلن في عناد عن هذا الافلاس، وإنما أريد أن أوجه النظر إلى أن الاقتصاد الإسلامي هو البديل الذي يجب أن يلعب دوره المفروض، فهو المنهج الوحيد الصالح للانسان إذ عمل على الملاءمة بين النوازع الفطرية والمطالب المجتمعية ، محيطا ذلك بتعاليم سامية تحد كل غلو، لترفع الإنسان إلى مستوى انسانيته، فيتسامى عن تطرف المذاهب، وأعطى الانسان حق الكسب والملك، وأوصاه الا يحرّم زينة الله التي أخرج لعباده، وان يتمتع بالطيبات من الرزق، ضمانا لاستقراره النفسي، والسكينة الروحية التي تؤدي إلى التفكر والتدبر وشكر الخالق والايمان بقدرته، وعندما لم يكبت النوازع الانسانية فإنه لم يطلق أمرها على عواهنه، وإنما أحاطه بسياج من التوجيه اشترك فيه الجانب القانوني والاخلاقي فاعتبر المصلحة العامة

أساس الجهد، واهتم بالفرد على أنه خلية حية في البناء الاجتماعي، حفظها حفظ للمجتمع، والمسّ بحقوقها مس بحقوق الجماعة،لأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا،ثم إنه خلق توازنا في القوة بين الطبقات وأوصى ألا تبقى الثروة في يد طائفة محدودة، وعلم الناس أن المال مال الله ، ووضعه أمانة ووديعة لدى الإنسان فهو مستخلف فيه ، وحتمية استخلافه كسبه من حل وانفاقه في حل، وعلى الرغم من أن الاسلام يصبغ على المال اشكال التقدير باعتباره من نعم الله ، ويعطيه مكانة ذات أهمية في حياة الانسان قال تعالى: **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث)** آل عمران/ ١٤. فإنه أتبع سبحانه ذلك بقوله: «**ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**» آل عمران/ ١٤ وقال جل ذكره: **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا)** الكهف/ ٤٦ لكن رغبة في الحد من غلواء الاستلاب المادي عقب سبحانه بقوله: **(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)** الكهف/ ٤٦.

ان النظام الاقتصادي في الاسلام يتميز بالميزات التالية :

الاستقرار في الأسس الكلية: بحيث لا تتأثر بالحيثيات الصورية، والاختلافات الفكروية نظرا لانها لم تصدر عن منظر يحتاج لإجراء التجربة أو البحث عن البرهان، ولم تصدر عن فكر محدود بل صدرت عن الآخذ بناصية كل شيء ويعلم مستقره ومستودعه .

الموضوعية : يهتم بالإنسان باعتباره كائنا ساميا كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق. الإنسان المجرد عن تحديد الزمان أو المكان، أو اختلاف «الانثروبولوجي».

الشمولية: لا ينظر للانسان من خلال المبدأ الذي يعتنقه ولا المذهب الذي يدين به ولا ينظر اليه من خلال التدرج الذي تفتعله تصورات بني الانسان قصد خلق نوع من التمايز .

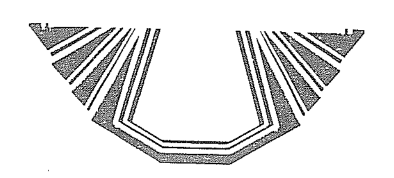
الاستمرار : لصدوره عن الأبدي السرمدي الذي خلق الخلق وجعل امتدادهم عبر دروب الزمن امتدادا لا ينحد بالحدود المفتعلة، ولا يتأثر بالتغيرات السيوسياسية .

انه المنهج الذي يسعى لنشر الطمأنينة والسعادة والاستقرار لكل بني البشر، ويعمل على خلق التكافل الاجتماعي الكفيل بإزالة المؤثرات السلبية في العلاقات الاجتماعية كما أنه يخفف حدة الفوارق الطبقية التي

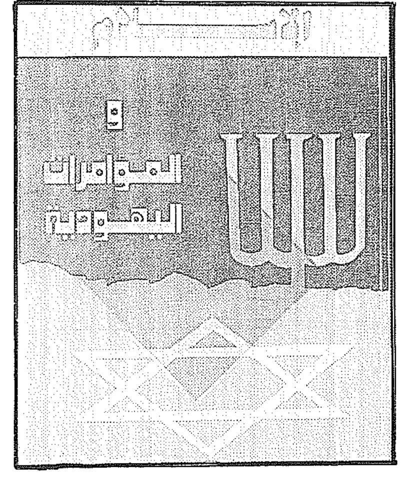
هي أساس الصراع غير المنتهي عبر دروب التاريخ البشري، ويمتاز ايضا بكونه مرتبطا بالعقيدة فتشريعاته تنبع من أصولها. كل تشريع منها مصدره الكتاب والسنّة وما انضاف اليهما من الأصول الفقهية والمشرّع الاقتصادي في الاسلام ليس هو الملم بعلوم المالية والاقتصاد فحسب وإنما هو الاقتصادي الفقيه المتمرس بأصول الشريعة القادر على استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، كما أن المؤثرات والتوجهات التي يتضمنها هذا المنهج لا يبحث عنها تحت سجوف «البرجماتية النفعية»، وإنما في ظلال المثل السامية والسلوك القويم، الذي لا يعرف خداعا لأن من غشنا ليس منا. وارتباط المنهج بالعقيدة هو ارتباط ضمني بالأخلاق يستجيب لنداء الضمير الاخلاقي الذي يمثل الرقيب الذي يضمن للتشريعات التطبيق الموضوعي المتسم بالمصداقية والاستقامة **(وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)** الجن/١٦، **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)** الأعراف/ ٩٦.

إن المنهج الاسلامي يربط الصلة بين التكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي وليس هنا مجال استعراض النصوص التي تؤكد ذلك والتي تنص على وجوبهما جاعلة الحب جوهر الحياة وأساس السعادة فيها في الدنيا والآخرة. لأن المال مال الله والناس عياله وأحبهم إليه أحبهم لعياله.

واخيرا. فإن الأمة الاسلامية بما تملكه من امكانات اقتصادية وبما يزودها به دينها الحنيف من منهج اقتصادي قادر على إصلاح ما افسدته النظم التي اعلنت افلاسها تتحمل مسؤولية انقاذ هذا العالم وإخراجه من متاهات الضياع التي يعيش فيها ولا يملك عنها فكاكا. علينا بتطبيق المنهج الاسلامي واطلاع الغير على مزاياه فالدعوة عامة، والرسالة إلى الناس كافة: **(يـأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** البقرة/ ٢٠٨. **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** . سبأ/٢٨.



مكتبة المجلة



الإسلام والمؤامرات اليهودية

كتاب من تأليف الشيخ/ محمد زكي الدين محمد قاسم من علماء الازهر الشريف والذي له دوره الرائد في الدعوة الاسلامية.

والكتاب توزعه مكتبة المنار الإسلامية بالكويت، وهو من طباعة دار الصفوة للطباعة والنشر بالقاهرة، ويقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط.

وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤١٠هـ، في الفترة التي يشهد فيها عالمنا المعاصر تغيرات سياسية ضخمة، ترتب عليها هجرة كثير من اليهود إلى فلسطين المحتلة.

يقول المؤلف: إن هذا الكتاب يعرض في إيجاز بعض مؤامرات اليهود ضد الإسلام، وقد حدد هدفه في معالجة خطر يهودية التنظيم والحقد والتآمر لا يهودية الدين والاعتقاد، فيهودية التنظيم فكرة عنصرية، أما يهودية الدين والاعتقاد فهي من حيث الأصل أخت الإسلام وإن كان الدين الإسلامي قد نسخها ثم إن المؤلف قد قسم الكتاب إلى مقدمة، وستة أقسام:

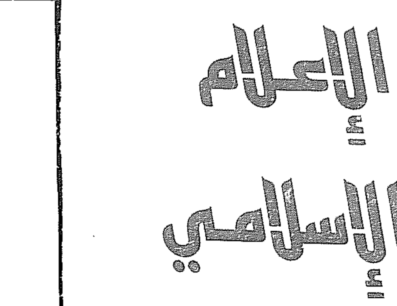
القسم الأول : عن اليهودية وموقفها من الديانات والمذاهب الأخرى.
القسم الثاني : عن الماسونية بين الحقيقة والشعارات.
القسم الثالث : عن الروتاري.
القسم الرابع : عن كنيسة اليوم السابع وشهود يهوه.

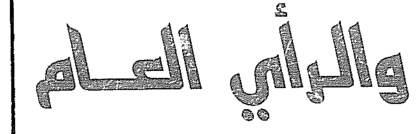
القسم الخامس : قسمه المؤلف إلى عدة فصول تحدث فيها عن القاديانية منشأ وتاريخا. ومصادرها وآثارها وارتباطها بالاستعمار والصهيونية، وعن حكم الانتماء إليها.

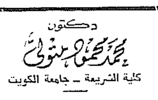
القسم السادس والأخير : عن البابية والبهائية.

والكتاب يحتاج إليه كل مسلم غيور على دينه حريص على معرفة أعدائه ليتقي شرهم، ويعرف ما يدبرون له.

ومع أهمية الكتاب إلا أنه قدوقعت فيه أخطاءمطبعية كثيرةلاتخفى على القارىء.





دكتور


كلية الشريعة ـ جامعة الكويت

الأعلام الأسلامى والرأى العام

الطبعة الأولى

١٩٨٧ ـ ١٩٨٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مكتبة المنار بالكويت

كتاب يقع في حوالي ٧٤٠ صفحة من الحجم المتوسط، صدر في طبعته الأولى عام ١٩٨٧/١٩٨٨م.

من طباعة شركة سعيد رأفت للطباعة، وتوزيع مكتبة المنار بالكويت.

والكتاب يعد أول دراسة إسلامية أكاديمية للإعلام والرأي العام في الجامعات الإسلامية وبخاصة جامعة الأزهر.

تناول المؤلف فيه أخطار وسائل الإعلام حين اتخذتها الشيوعية والصهيونية والاستعمار أداة للغزو الفكري والإفساد الخلقي.

يقول المؤلف: لقد جعلت همي الأكبر أن أبحث عن المعالم التي يمكن أن نبني على أساسها الإعلام الديني، وكيف نطوع وسائل الإعلام لتكون في خدمة الإسلام والمسلمين.

والبحث عبارة عن أربعة أبواب:

الباب الأول: جاء في فصلين، هما:ـ

أ ـ الاتصال بالجماهير ونظرياته وواجباته وأشكاله، وتعريف الإعلام الخ.

ب ـ وسائل الإعلام الحديثة وسعتها وسرعة انتشارها وخطورة آثارها.

الباب الثاني: خصصه المؤلف للحديث عن الرأي العام ودور وسائل الاعلام في تكوينه.

الباب الثالث: تحدث فيه المؤلف عن وظائف الإعلام الديني في العصر الحديث، وأبان أنه وإن اشترك الإعلام الديني مع الإعلام العام إلا أنه يبقى للإعلام الديني وظائف أخرى كحماية العقيدة وترسيخها، والدعوة إلى المحافظة على اللغة العربية، وقد تطرق المؤلف في هذا الباب إلى الحديث عن الفنون ودورها في الإعلام وموقف الإسلام منها، ومايجوز ومالا يجوز.

الباب الرابع والأخير: ذكر فيه المؤلف نماذج لوسائل الاعلام الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون، وحدد أهم المعالم الرئيسية للصحافة الإسلامية، وأهم صفات الإعلامي المسلم وواجباته، ورسم أهم المعالم للصحافة الإسلامية.

وأخيراً اختتم المؤلف ـ الدكتور/ محمد محمود متولي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت، والذي عرفته الصحافة الإسلامية كاتباً، وعرفته الندوات محاضراً، وعرفته المنابر داعياً إلى الله ـ كتابه القيم بذكر النتائج والمقترحات.

والوعي الاسلامي: إذ تقدم هذا التعريف الموجز للكتاب لتثني على الجهد المبذول فيه، وترجو لكل من ساهم في إخراجه بهذه الصورة حسن المثوبة.

الفتاوى

من أحكام الأضحية

سأل بعض القراء عن حكم الأضحية وعن حكمة مشروعيتها وهل يضحي عن الميت أم لا؟

الأضحية سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء ويكره تركها مع القدرة عليها لحديث انس الذي رواه البخاري ومسلم، ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر.

وعند الحنفية هي واجبة على الشخص الذي يملك نصاب الزكاة أي يجب عليه فعلها وان لم يفعلها كان آثما.

ومن حكمة مشروعيتها التوسعة على الفقراء والمساكين وتذكير المسلمين بالذِّبح العظيم الذي فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال تعالى «**وفديناه بذبح عظيم**».

ويضحي عن الميت إذا أوصى ورثته بذبح أضحية من مال له وعلى الورثة التنفيذ ما دام في حدود الثلث وتأخذ هذه الأضحية حكم المنذورة أما إذا لم يترك الميت مالا وأوصى أولاده فمن البر بالوالدين الوفاء بهذه الوصية وبهذا تكون الأضحية تطوعا والأفضل أن تقسم أثلاثا .

بيع المضطر

وردت الى المجلة أسئلة عن حكم شراء سلعة صاحبها يبيعها بثمن أقل من قيمتها لأنه مضطر. وعن شراء المسروق.

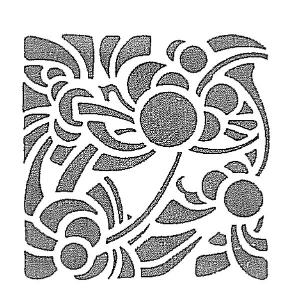
بالنسبة للسؤال الأول : الفقهاء يعبرون عن هذا البيع أنه بيع المضطر، بمعنى أن الانسان قد يبيع ما عنده من سلعة أو أثاث أو عقار لأنه مطالب بدين أو من أجل ضرورة من الضروريات المعاشية أو من أجل علاج له أو لأولاده، فيبيع ما يملكه بأقل من قيمته مضطراءهذا وإن كان جائزا للمشتري إلا أنه مكروه. والواجب شرعاً أن يعان المضطر بشراء السلعة بثمن المثل أو باعطائه مالاً كمساعدة أو بإقراضه قرضا حسنا من باب البر والتعاون وتفريج كربه.. في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

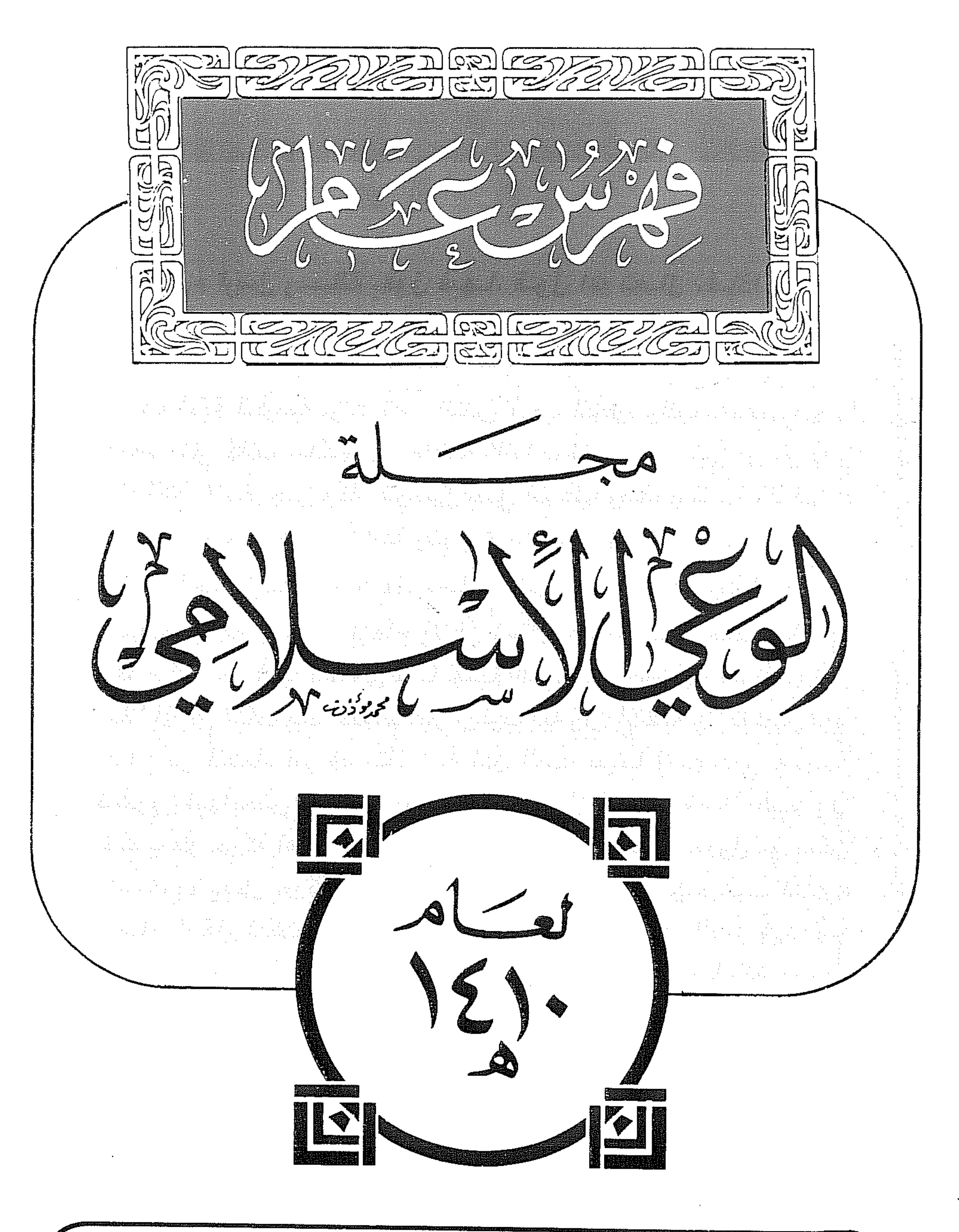
ولقول الله تعالى: «**ولا تنسوا الفضل بينكم**» فلا ينبغي لمسلم أن ينتهز الفرصة ويفرح بشراء سلعة رخيصة من غير نظر لحاجة أخيه المضطر. أما بالنسبة للسؤال الثاني فإنه يحرم على المسلم أن يشتري شيئا مسروقا وهو يعلم أنه مسروق أو مغصوب، لأنه شراء من لايملك البيع مع ما فيه من التعاون على الإثم والعدوان، رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في إثمها وعارها ».

من آداب الوليمة

قارىء أرسل رسالة يقول فيها، قول الله تعالى «فإذا طعمتم فانتشروا...» هذا خاص باحترام البيت النبوي أم هو عام للأمة؟

هذه الآية الكريمة نزلت تُعلّم الناس اداب الدعوة والوليمة،وتضع حدا للفوضى التي كانت سائدة في الجاهلية كانوا يدخلون بيت النبي من غير إذن وإذا أكلوا لا يخرجون وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتأذى بذلك فنزلت الآية الكريمة ضمن الآية رقم ٥٣ من سورة الأحزاب » . تبدل فوضى الجاهلية نظام عفّ وسلوك كريم يحفظ للبيت النبوي احترامه من غير إيذاء أو إزعاج إلا أن أحكامها عامة تشمل جميع المؤمنين لأنها آداب اجتماعية يستوي فيها جميع الناس... رحمة بهم وإرشادا لهم وبيانا إلى أن المكث بعد الطعام غير مرغوب فيه وأن الإطالة في الجلوس بعد الفراغ من الطعام أمر قد يتأذى به أهل البيت حينما لا يجدون فرصة يباشرون فيها بعض شئونهم خاصة إذا كان مكان الطعام متصلا بالبيت وفي وضع يعطل حركة أهله. أما إذا كان مكان الوليمة في مكان معزول عن سكن الاسرة، ولا يعطل حركة البيت، أو كان الجلوس بإصرار من صاحب الدعوة ورضاه، أو كان المكث بعد الطعام لفترة يسيرة يتعارف عليها الناس فهذا أمر جائز ولا يتناوله الأمر بالانتشار بعد الفراغ من الطعام والأفضل للضيف أن ينصرف في وقت مناسب حيث جاء التعبير في الآية بالفاء فقال (فانتشروا) ومعلوم أن الفاء للترتيب والتعقيب وفي الآية تربية اجتماعية لكل المسلمين.





السنة السادسة والعشرون

الموضوعات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
بيع العربون	الدكتور / رفيق المصري	٣٠١	٥١
البيئة والتلوث	الأستاذ/ علي محمد محاسنة	٣٠٥	٩٤
تلوث البيئة	المهندس/ محمد عبدالقادر الفقي	٣٠١	٩٦
التناصح	الاستاذ / محمد نعيم عكاشة	٣٠٢	١٠٢
تحرير الفاعلية القرآنية	الاستاذ / محمد بن علي بن جبرة	٣١٢	١٢
التحدي النووي الصهيوني	الاستاذ/ محمد بن علي بن جبرة	٣٠٣	٤٨
تراثنا أمانة	الاستاذ / عبدالعزيز بغداد	٣٠٦	٩٢
التعقل في مجال العقيدة	الاستاذ / عبدالعزيز بغداد	٣٠٥	١٨
تعداد المسلمين في العالم	الدكتور/ عادل طه يونس	٣٠٣	٢٩
تطور تعداد المسلمين في الاتحاد السوفيتي	الدكتور / عادل طه يونس	٣٠٤	٩٢
تيه الاربعين الاسلامي	الاستاذ/ احمد العناني	٣١١	٥٨
ثقافة الصحوة	الاستاذ/ جمال سلطان	٣٠٥	٣١
الجانب التربوي في الصيام	الاستاذ / اشرف فؤاد موسى	٣٠٩	١٠٢
الجسر المنشود	الاستاذ / أحمد العناني	٣٠٥	١٠٠
جمع القرآن وافتراءات المستشرقين	الاستاذ / حسن عزوزي	٣٠٩	١٦
الحج في حقيقته ومغزاه	الشيخ معوض عوض ابراهيم	٣١١	٣٦
الحج مظهر للطاعة	الاستاذ / محمد رجاء حنفي	٣١١	٤٠
الحديث النبوي في ميزان القرآن والعقل	الأستاذ/ عبدالستار الهواري	٣١٠	١٩
الحرب الدولية في نظر الاسلام(١)	أ. د/ وهبه الزحيلي	٣٠٦	٢٢
الحرب الدولية في نظر الاسلام(٢)	أ. د. وهبه الزحيلي	٣٠٧	٢٦
الحل... هو الحب	الأستاذ/ عبدالرحمن قره حمود	٣١٢	٩٨
الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة	الدكتور/ محمد شوقي الفنجري	٣٠٤	٤٩
الحملة المسعورة على المقدسات	أ. د./ وهبه الزحيلي	٣٠١	٧٨
الحمى المالطية	الدكتور/ رمضان حافظ رجب	٣٠٧	٩٨
حوار مع زينب الغزالي	الاستاذ / مجدي ابراهيم	٣٠٦	٨٨
الحياة البشرية في ضوء الحديث النبوي	الاستاذ / محمد المجذوب	٣٠٢	٣٧
الخروج من تابوت الامية	الاستاذ / فوزي الفيشاوي	٣١٠	٥٠
خطاب المفرد بصيغة المثنى	الاستاذ / مصطفى رجب	٣٠٤	٦٢
الخط العربي بين التنوع والتاريخ	الاستاذ/ عبدالغني محمد عبدالله	٣١١	٩٠
للخمر وجه آخر	الدكتور/ حسن فريد ابو غزاله	٣١٠	٩٢
الدجل.. تجارة الأمل الزائف	الدكتور/ حسن فريد أبو غزالة	٣١٢	٧٨
دعائم المجتمع في الاسلام	الدكتور / محمد الدسوقي	٣٠٤	٣٠
دور الانسان في عملية التنمية	الدكتور/ ابراهيم عبدالرحيم	٣٠٥	٦٠
الدور التربوي للمسجد في الاسلام	الشيخ/ طه الولي	٣٠٦	٥٠
دور المسجد في مواجهة قضايا العصر	الدكتور/ محمود يوسف مصطفى	٣٠٩	٦٨
ربع قرن بصحبة الوعي	الاستاذ / أحمد حسن القضاة	٣٠١	١٠
الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر	الدكتور/ عبدالستار محمد ضيف	٣٠٦	٣٥
رمضان في مرآة الشعر	الاستاذ / عبدالرحمن البجاوي	٣٠٩	٢٨

مائـدة القارىء

كلمات وأحاديث

مـع القـراء

الفتـــــاوى

القصص

القصة	الكاتب	العدد	الصفحة
الأيدي الخفية	الاستاذ/ أحمد محمود مبارك	٣٠٢	١١٦
بحثا عن الكنز الضائع	الاستاذ/ عبدالنبي عالم	٣٠٨	٩٨
رجل يرث اطنانا من الذهب	الأستاذ/ محمد حسين حيمور	٣٠٦	١١٦
رسالة من مدمن	الدكتور/ محمد السقا عيد	٣١١	١٢٠
الرزق الحرام	اللواء الركن/ محمود شيت خطاب	٣٠٣	٩٩
علمتني الحياة	اللواء الركن/ محمود شيت خطاب	٣٠٩	٥٥
في زمن الاعصار	الاستاذ/ قطب الريسوني	٣٠٤	١٢٢

استطلاعات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
اقريطش: ماذا تعرف عنها	الأستاذ/ بهيج بهجت سكيك	٣١٠	٨٠
جهود دولة الكويت في محو الأمية	اعداد/ خالد بوقماز	٣٠٨	٧٨
جهود وزارة الاوقاف في مكافحة الامية	اعداد/ خالد بو قماز	٣١١	٦٨
المقصورة النبوية	الاستاذ/ عبدالستار فيض	٣٠١	١١٠

شخصيات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
آربري.. وترجمة القرآن الكريم	الشيخ/ محمد حسام الدين	٣١١	١٢
خالد بن صفوان	الأستاذ/ مجدي مصطفى يعقوب	٣٠٣	٩٢
الطبري.فقيها	الدكتور/ محمد الدسوقي	٣٠٩	٤٦
الماوردي فقيه الأخلاق والسياسة	الأستاذ/ محمد بنيعيش	٣١١	١٠٧
محمد الصادق عرجون	الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ	٣١٢	٥٦

قصائد

كتاب الشهر

مقدمة العدد:

للشيخ حسن مراد مناع ـ رئيس التحرير

وقفة تأمل

الأستاذ/ فهمي الامام

قرأت لك : للتحرير

من اخبار العالم الاسلامي للتحرير

الكتّاب

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).

★ المملكة العربية السعودية : الرياض ـ الشركة السعودية للتوزيع
تلفون ٤٧٧٩٤٤٤
جدة ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٦٦٥٣٣٥٣
ص.ب: ١٣١٩٥
الدمام ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٨٢٧٢٥٧٥

سلطنة عمان : روى ـ شركة الطاؤوس ـ ص.ب ٨٦٧٦
هاتف ٧٩٦٦٦٣٦

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : دار المسيرة ص.ب: ٦٦٧٥ تلفون ٣٣٨٢٨٥

★ اليمن الشمالي :

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

★ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

نوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

قال الله سبحانه وتعالى

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

محمد موزني ١٤١٠

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(البقرة ١٩٩)